(١)

دعوة المصطفى ﷺ ودلائل نبوته ووجوب محبته ونصرته

تأليف

محمد بن عبد الله السبيل

إمام وخطيب المسجد الحرام

المقدمة

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، والصلاة والسلام على من بعثه الله رحمة للعالمين ، وهدى للناس أجمعين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد :

فيقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٢١].

لقد بعث الله رسوله محمدًا ﷺ هاديًا وبشيرًا ، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا ، فهدى الله به من الضلالة ، وأخرج به الناس من الظلمات إلى النور .

وإن في سيرته ﷺ وشمائله دروس وعبر ، حق على كل مسلم معرفتها، والتأسي بها ، فمحمد ﷺ هو القدوة والأسوة، ومحبته ﷺ ، واتباع سنته ، موصلة لمحبة الله وغفرانه.

وقد كتبت منذ سنوات عديدة رسالة مختصرة ، في ذكر دعوته ﷺ ، وبعثته، وبيان شيء من فضائله ﷺ، وأخلاقه، ودلائل نبوته، وبينت فيها وجوب محبته ﷺ،ولزوم سنته،ونصرته،والذب عنه عليه الصلاة والسلام.

وقد رغب إليَّ جمعٌ من المشايخ والدعاة نشر هذه الرسالة، فأجبتهم لذلك ، سائلًا المولى جل وعلا أن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل، وأن ينفع بهذه الرسالة ، والله الهادي ، وبه التوفيق سبحانه .

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

محمد بن عبد الله السبيل

مكة المكرمة في ٢٠/ ٢/ ١٤٢٧هـ

تمهيــــد

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد :

فإن الله جل وعلا بعث نبيه محمدًا ﷺ ، وأرسله بالهدى ودين الحق؛ ليظهره على الدين كله وأنزل عليه كتابه المبين ، الهادي للتي هي أقوم، بعثه بالنور والهدى بشيرًا ونذيرًا ﴿ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ ﴾ [الكهف : ٢-٥] .

بعثه على حين فترة من الرسل ، وقلة من العلم ، وفشو من الجهل، وافتراق الأمم ، وتحكم الأهواء بهم ، والتعلق بغير الله ، ممن لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًا ، ولا يملكون موتًا ولا حياة ولا نشورًا ، اتخذوا دينهم شيعًا، كل حزب بما لديهم فرحون .

بعثه الله جل وعلا بالحنيفية السمحة ، التي هي دين الإسلام ، فجدد للناس دين إبراهيم عليه السلام ، ﴿ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ ﴾ [الحج : ٧٨] .

بعثه سبحانه في أقدس بقعة على وجه الأرض ، وفي أشرف جيل من الناس ، وفي أفضل لغة وأفصحها .

فكانت بعثته ﷺ هداية للناس، وإخراجًا لهم من رق العبودية للأوثان والأحجار ؛ لعبادة رب السماوات والأرض، ومن الجهل والضلالة إلى العلم والهداية والنور المبين .

فصل

في دعوته ﷺ وبعثته

يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾ [الأحزاب:٤٥-٤٨] .

إن الله سبحانه وتعالى يخلق ما يشاء ويختار ، ولقد اختص سبحانه عبادًا للاصطفاء ، وركب فيهم من الأخلاق الفاضلة ، والصفات العالية ، والمميزات التي ميزتهم على سائر البشر ، رجاحة في أحلامهم ، وكمالًا في أخلاقهم ، ورزانة في عقولهم ، وصفاء في أذهانهم .

لقد اختار المولى جل وعلا قريشًا من سائر العرب ، واصطفى بني هاشم من قريش ، واصطفى محمدًا ﷺ من بني هاشم ، فهو ﷺ أشرف الناس نسبًا ، ومن ذرية إبراهيم نبي الله عليه السلام ، فهو محمد بن عبد الله ابن عبد المطلب بن هاشم ابن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي ابن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة ابن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، وعدنان من ولد إسماعيل عليه السلام .

ولد النبي ﷺ بمكة عام الفيل ، ونشأ محبًا للخير والخلق القويم ،

يتعبد في غار حراء الليالي ذوات العدد ، حتى نزل عليه الوحي من الله ، وعمره أربعون عامًا ، فكانت بعثته ﷺ رحمة للعالمين ، وهدى للناس أجمعين.

لقد وصف الله نبيه محمدًا ﷺ بقوله سبحانه : ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة:١٢٨]. وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:٤] .

لقد جبله الله على أكمل الصفات والسجايا ، وكان له بين قريش المقام السامي ، والمحل العالي ، والمنزلة الرفيعة ، قبل أن يوحى إليه ، ففاقهم حلمًا ، وأخلاقًا ، وسؤددًا ، واحتمالًا ، وصبرًا ، ورزانة ، وأمانة ، حتى كانوا يسمونه الأمين ، ويشهدون بفضله ، ويقرون بكريم خلقه .

وليس بأدل على ذلك من واقعة تحكيمه ﷺ في رفع الحجر الأسود إلى مكانه من البيت ، فقد تنازع القوم ، ولم يرضوا أن ينفرد بهذا الشرف واحد منهم ، فحكموا أول من يدخل ، فكان هو ﷺ ، فرضوا به جميعًا ، وقالوا هذا الأمين، رضينا رضينا، فكان هو الذي يرفعه ، ويضعه في مكانه ، مع وجود أشياخ قريش ، وأكابرهم ، ولولا منزلته وعلو مكانته ، لما أقروا له بذلك .

ولما اشتهر بأخلاقه الشريفة بين قريش ، وتكاملت فيه صفات الخير ، وقارب نزول الوحي عليه ، جعلت بعض الأحجار تسلم عليه، ويسمع صوتها، توطئة لنزول الوحي عليه، وجعل يرى الرؤيا الحق ، ويقع تأويلًا أبين من فلق الصبح ، ثم مع همته ، وشرفه ، وأخلاقه ﷺ ، صار يخرج

للجبال يتعبد وحده، تاركًا ما عليه الناس من عبادة الأوثان ، وارتكاب الجرائم ، والتلوث بأنواع الأخلاق الرذيلة .

ثبت في صحيح مسلم أنه ﷺ كان يخلو بغار حراء ، يتحنث فيه -أي يتعبد- الليالي أولات العدد قبل أن يرجع إلى أهله ، ويتزود لذلك ، ثم يرجع إلى خديجة ، فيتزود لمثلها ، حتى فجئه الحق، وهو في غار حراء، فجاءه الملك ، فقال : اقرأ، قال : ما أنا بقارئ ، قال : فأخذني، فغطني ، حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني ، فقال : اقرأ ، قال: قلت: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني ، فغطني الثانية ، حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني ، فقال : اقرأ ، فقلت : ما أنا بقارئ، فأخذني ، فغطني الثالثة ، حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني ، فقال : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق:١-٥] ، فرجع بها رسول الله ﷺ ترجف بوادره ، حتى دخل على خديجة ، فقال : زملوني، زملوني، فزملوه حتى ذهب عنه الروع ، ثم قال لخديجة: أي خديجة مالي، وأخبرها الخبر ، قال: لقد خشيت على نفسي ، قالت له خديجة : كلا أبشر ، فوالله لا يخزيك الله أبدًا ، والله إنك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق ، فانطلقت به خديجة ، حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى، وهو ابن عم خديجة أخي أبيها ، وكان امرأ تنصر في الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العربي ، ويكتب من الإنجيل بالعربية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخًا كبيرًا قد عمى ، فقالت له

خديجة: أي عم ، اسمع من ابن أخيك، قال ورقة بن نوفل : يا ابن أخي ، ماذا ترى ، فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رآه ، فقال له ورقة : هذا الناموس الذي أنزل على موسى ﷺ ، يا ليتني فيها جذعًا، يا ليتني أكون حيا ، حين يخرجك قومك ، قال رسول الله ﷺ : أو مخرجي هم؟ قال ورقة: نعم، لم يأت رجل قط بما جئت به، إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا .

وجاء في بعض الروايات : أن ورقة لقي النبي ﷺ وهو يطوف بالكعبة ، فقال : يا ابن أخي ، أخبرني بما رأيت وسمعت ، فأخبره رسول الله ﷺ ، فقال ورقة : والذي نفسي بيده إنك لنبي هذه الأمة ، ولقد جاءك الذي جاء موسى ، ولتكذبنه ، ولتؤذينه، ولتخرجنه ، ولتقاتلنه ، ولئن أنا أدركت ذلك اليوم ، لأنصرن الله نصرًا يعلمه ، ثم أدنى رأسه منه ، فقَبَّل يافوخه ، ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى منزله .

قال ابن إسحاق : وكانت خديجة بنت خويلد قد ذكرت لورقة بن نوفل ما ذكر لها غلامها ميسرة من قول الراهب ، وما كان يرى منه ، إذ كان الملكان يظلانه ، فقال ورقة : لئن كان هذا حقا يا خديجة ، إن محمدًا لنبي هذه الأمة ، وقد عرفت أنه كائن لهذه الأمة نبي ينتظر ، هذا زمانه ، أو كما قال، فجعل ورقة يستبطئ الأمر ، ويقول حتى متى ، فقال ورقة في ذلك شعرًا :

لججتُ وكنت في الذكرى لجوجا لهم طالما بعث النشيجا

ووصفٍ من خديجةَ بعد وصفٍ وقد طال انتظاري يا خديجا

ببطن المَكَّتين على رجـــــائي حديثك أن أرى منه خروجـــا

وما خَبّرتنا من قـــول قـــس من الرهبان أكره أن يعوجـــا

بأن محمدًا سيسـود فينـــــا ويخصم من يكون له حجيجـــا

ويظهــر في البلاد ضياء نـــور يقيـم بـــه البرية أن تمـوجـــا

فيـلقى من يحاربـــه خســارا ويلقى من يســـالمه فلوجـــا

فيا ليتي إذا ما كـــان ذاكـــم شهدت فكنـت أولهم ولوجـــا

ولوجًا في الذي كرهت قريـــش ولو عجت بمكَّتِــها عجيجـــا

أرجِّي بالــذي كرهوا جميعـــًا إلى ذي العرش إن سفلوا عروجا

وهل أمر السفاهة غـير كفـــر بمن يختار من سَمَك البروجـــا

فإن يبقوا وأبْقَ تكـــن أمـــور يضج الكافرون لها ضجيجـــا

وإن أهلك فكل فتى ســـيلقى من الأقدار متـــلفة حروجـــا

فكانت خديجة رضي الله عنها أول من آمن برسول الله ﷺ، وقامت ، فخفف الله بها عن رسول الله كثيرًا مما يلقاه من أذية قومه ، وهونت عليه أمر الناس ، وما يكيدون له .

قال ابن القيم رحمه الله :

« ولما قال لها : لقد خشيت على نفسي ، قالت له : أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدًا ، ثم استدلت بما فيه من الصفات الفاضلة ، والأخلاق ، والشيم ، على أن من كان كذلك لا يخزى أبدًا ، فعلمت بكمال عقلها

وفطرتها أن الأعمال الصالحة، والأخلاق الفاضلة ، والشيم الشريفة ، تناسب أشكالها من كرامة الله ، وتأييده ، وإحسانه ، لا تناسب الخزي والخذلان ، وإنما يناسبه أضدادها ، فمن ركبه الله على أحسن الصفات ، وأحسن الأخلاق والأعمال، إنما يليق به كرامته ، وإتمام نعمته عليه،ومن ركبه على أقبح الصفات،وأسوأ الأخلاق والأعمال، إنما يليق به ما يناسبها ، وبهذا العقل والصديقية استحقت أن يرسِلَ إليها ربُها السلام منه ، مع رسوليه جبريل ومحمد ﷺ » اهـ من زاد المعاد .

وأُمر رسول الله ﷺ أن يبشرها ببيت في الجنة من قصب ، لا صخب فيه ، ولا نصب - والقصب هو اللؤلؤ المجوف - وهي رضي الله عنها أول امرأة تزوجها النبي ﷺ، وأول امرأة ماتت من نسائه ، ولم يتزوج عليها ، وكل أولاده منها ، ما عدا إبراهيم .

ثم إن النبي ﷺ استمر في الدعوة إلى الله ، وآمن به أبو بكر ﷺ ، وعلي ابن أبي طالب ، وكان أبو بكر محببًا في مجتمعه، ومألوفا بينهم ، فكان يدعو إلى الإيمان ومتابعة الرسول ، فآمن عثمان بن عفان ، وسعد بن أبي وقاص ، والزبير بن العوام ، وعبد الرحمن بن عوف ، وطلحة بن عبيد الله رضي الله عنهم أجمعين ، وهؤلاء بشرهم رسول الله ﷺ بالجنة .

وكان أيضًا من أول من آمن به ﷺ زيد بن حارثة ، مولى رسول الله ﷺ، واستمر رسول الله ﷺ بدعوته ، ودخل في دين الله أفراد من الناس ، وحصل لكثير منهم ابتلاء وامتحان، كما حصل لبلال وعمار رضي الله عنهما وغيرهما من أصحاب رسول الله ﷺ .

وقد شرع أصل الصلاة للنبي ﷺ ، وأراه جبريل عليه السلام كيفية الوضوء ، وذلك قبل الإسراء والمعراج.

قال مقاتل بن سليمان : فرض الله أول الإسلام الصلاة ركعتين بالغداة ، وركعتين بالعشي ؛ لقوله تعالى: ﴿ وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴾ [آل عمران : ٤١] .

قال ابن حجر رحمه الله في فتح الباري : «كان ﷺ قبل الإسراء يصلي قطعًا، وكذلك أصحابه ، ولكن اختلف ، هل فرض شيء قبل الصلوات الخمس من الصلوات أم لا؟ فقيل : إن الفرض كانت قبل طلوع الشمس وقبل غروبها» .

وقال الإمام النووي رحمه الله : «أول ما وجب الإنذار والدعاء إلى التوحيد ، ثم فرض الله قيام الليل ، بما ذكره في سورة المزمل ، ثم نسخه بما في آخرها ، ثم نسخه بإيجاب الصلوات الخمس ، ليلة الإسراء بمكة» .

وقد كان النبي ﷺ يدعو إلى دين الله خفية ، حتى نزل عليه قوله سبحانه: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء:٢١٤] .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : « لما نزلت ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ صعد النبي ﷺ على الصفا ، فجعل ينادي: يا بني فهر ، يا بني عدي -لبطون قريش- حتى اجتمعوا ، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولا؛ لينظر ما هو ، فجاء أبو لهب ، وقريش ، فقال : أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلًا بالوادي تريد أن تغير عليكم، أكنتم

مصدقي؟ قالوا : نعم ، ما جربنا عليك إلا صدقا ، قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فقال أبو لهب: تبا لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا؟ فنزلت:﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴾ [المسد:١-٢]» رواه البخاري.

وروى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ قال : « لما نزلت هذه الآية ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ دعا رسول الله ﷺ قريشًا ، فاجتمعوا ، فعم وخص ، فقال : يا بني كعب بن لؤي أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بني مرة بن كعب أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بني عبد شمس أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة أنقذي نفسك من النار ، فإني لا أملك لكم من الله شيئًا، غير أن لكم رحمًا سأبلها ببلالها ».

ثم إنه ﷺ مضى ، واستمر في دعوته ، وفي أمر الله ، لا يرده شيء ، ولا يثني عزمه كيد الكائدين ، ولا معاندة المشركين.

فلما رأت قريش أن رسول الله ﷺ لا يعتبهم من شيء أنكروه عليه من فراقهم ، وعيب آلهتهم ، ورأوا أن عمه أبا طالب قد حدب عليه ، وقام دونه يحميه ، ويحوطه ، فلم يسلمه لهم ، مشى رجال من أشراف أهل مكة من قريش إلى أبي طالب، فيهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس ، وأبو سفيان، والعاص بن هشام ، وأبو جهل ، والعاص بن وائل ، في جماعة معهم ، فقالوا : يا أبا طالب إن ابن أخيك قد سب آلهتنا ، وعاب ديننا ،

وسفه أحلامنا ، وضلل آباءنا ، فإما أن تكفه عنا ، وإما تخلي بيننا وبينه ، فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه ، فنكفيكه ، فقال لهم أبو طالب قولًا رفيقًا ، ورد عليهم ردًا جميلًا ، فانصرفوا عنه .

وجاء في رواية السدى : أن أبا طالب بعث إلى رسول الله ﷺ ، فلما دخل عليه ، قال : يا ابن أخي ؛ هؤلاء مشيخة قومك وسراتهم ، وقد سألوك أن تكف عن شتم آلهتهم ، ويَدَعوك وإلهك ، قال : يا عم ؛ أفلا ندعوهم إلى ما هو خير لهم ، قال : وإلام تدعوهم؟ قال : أدعوهم إلى أن يتكلموا بكلمة ، تدين لهم بها العرب ، ويملكون بها العجم، فقال أبو جهل من بين القوم : ما هي وأبيك لنعطينكها وعشر أمثالها؟ قال ﷺ : تقولون : لا إله إلا الله ، فنفر ، وقال : سلنا غيرها ، قال ﷺ : لو جئتموني بالشمس، حتى تضعوها في يدي ، ما سألتكم غيرها ، فقاموا من عنده غضابًا ، وقالوا: والله لنشتمنك وإلهك الذي يأمرك بهذا ﴿ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴾ [ص:٦].

رواه ابن أبي حاتم وابن جرير وزاد : فلما خرجوا ، دعا رسول الله ﷺ عمه إلى قول لا إله إلا الله ، فأبى ، وقال: على دين الأشـــــياخ ، ونزلت ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾[القصص:٥٦] .

وقال مقاتل : كان رسول الله ﷺ عند أبي طالب ، يدعوه إلى الإسلام ، فجمعت قريش إلى أبي طالب ، يريدون بالنبي سوءًا ، فقال أبو طالب : حين تروح الإبل ، فإن حنت ناقة إلى غير فصيلها ، دفعته إليهم ، فقال في ذلك:

والله لن يصلوا إليــــك بجمعهم حتى أوسد في التراب دفيـــــنا
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضـة وأبشر وقر بذاك منك عيـونـــا
ودعوتني وزعمت أنك ناصـحي ولقد صدقت وكنت ثم أميـــنا
وعرضت دينـــًا لا محالــــة أنــه من خير أديان البـرية دينـــا
لولا الملامة أو حــذار مســـبة لوجدتني سمحًا بذاك مبيـــنا

ثم اشتدت الأذية على الذين آمنوا برسول الله ﷺ ، وأذن عليه الصلاة والسلام لأصحابه بالهجرة إلى الحبشة ، ثم إن قريشًا اجتمعوا بدار الندوة ، وقالوا : إن لنا في الذين عند النجاشي ثأرًا، فاجمعوا أموالًا ، وأهدوه للنجاشي؛ لعله يدفع إليكم مَنْ عنده من أصحاب محمد ، ولينتدب في ذلك رجلان من أهل رأيكم ، فبعثوا عمرو بن العاص ، وعمارة بن الوليد ، مع الهدية ، وركبا البحر ، فلما دخلا على النجاشي سجدا له ، وسلما عليه ، وقالا : قومنا لك ناصحون ، وإنهم بعثونا إليكم؛ لنحذرك هؤلاء الذين قدموا عليك ؛ لأنهم قوم رجل كذاب ، خرج فينا بزعم أنه رسول الله ، ولم يتبعه إلا السفهاء ، فضيقنا عليهم ، وألجأناهم إلى شعب بأرضنا ، لا يخرج منهم ، ولا يدخل عليهم أحد ، فقتلهم الجوع والعطش ، فلما اشتد عليهم الأمر ، بعث إليك ابن عمه؛ كي يفسد عليك دينك ، وملكك، فاحذرهم ، وادفعهم إلينا ؛ لنكفيكهم ، وآية ذلك أنهم إذا دخلوا عليك لا يسجدون لك، ولا يحيونك بالتحية التي كنت تحيا بها ، رغبة عن دينك.

فلما دعاهم النجاشي ، وحضروا ، صاح جعفر بن أبي طالب بالباب :

يستأذن عليك حزب الله .

فقال النجاشي : مروا هذا الصائح ، فليعد كلامه ، ففعل، فقال: نعم ، فليدخلوا بأمان ، وذمة ، فدخلوا ، ولم يسجدوا له.

قال : ما منعكم أن لا تسجدوا لي ؟

قالوا : نسجد لله الذي خلقك وملكك ، وإنما كانت تلك التحية لنا ، ونحن نعبد الأوثان ، فبعث الله فينا نبيًا صادقًا، وأمرنا بالتحية التي رضيها، وهي السلام ، تحية أهل الجنة ، فعرف النجاشي أن ذلك حق ، وأنه في التوراة والإنجيل.

فقال : أيكم الهاتف يستأذن؟

قال جعفر : أنا .

قال: فتكلم .

قال : إنك ملك لا يصلح عندك كثرة الكلام ، ولا الظلم، وأنا أحب أن أجيب عن أصحابي من هذين الرجلين، فليتكلم أحدهما ، فتسمع كلامنا .

فقال عمرو بن العاص لجعفر : تكلم .

فقال جعفر للنجاشي : سله نحن عبيد أم أحرار؟ فإن كنا عبيدًا قد أبقنا من موالينا ، فارددنا إليهم .

فقال عمرو : بل أحرار كرام .

فقال : هل أرقنا دمًا بغير حق فيقتص منا ؟

فقال : ولا قطرة .

قال : فهل أخذنا أموال الناس بغير حق فعلينا قضاؤها؟

قال عمرو : ولا قيراط .

قال النجاشي : فما تطلبون منهم ؟

قال : كنا وهم على دين واحد ، على دين آبائنا ، فتركوا ذلك ، واتبعوا غيره .

فقال النجاشي: ما هذا الذي كنتم عليه والذي اتبعتموه؟ اصدقني .

فقال جعفر : أما الذي كنا عليه فتركناه، فهو دين الشيطان، كنا نكفر بالله ، ونعبد الحجارة ، وأما الذي تحولنا إليه فهو دين الله الإسلام ، جاءنا به من الله رسول ، وكتاب مثل كتاب ابن مريم ، موافقًا له .

فقال النجاشي : تكلمت بأمر عظيم ، فعلى رسلك ، ثم أمر بضرب الناقوس ، فاجتمع إليه كل قسيس وراهب.

فقال : أنشدكم الله الذي أنزل الإنجيل على عيسى ، هل تجدون بين عيسى وبين القيامة نبيًا مرسلًا ؟

قالوا : اللهم نعم ، قد بشرنا به عيسى ، وقال : من آمن به فقد آمن بي، ومن كفر به فقد كفر بي .

فقال النجاشي لجعفر : ماذا يقول لكم هذا الرجل؟ وماذا يأمركم به؟

وماذا ينهاكم عنه ؟

قال : يقرأ علينا كتاب الله ، ويأمرنا بالمعروف ، وينهانا عن المنكر ، ويأمرنا بحسن الجوار ، وصلة الرحم ، وبر اليتيم، ويأمرنا أن نعبد الله وحده لا شريك له .

فقال : اقرأ ما يقرأ عليكم ، فقرأ عليه سورة العنكبوت والروم ، ففاضت عينا النجاشي وأصحابه من الدمع .

فقال : زدنا من هذا الحديث الطيب ، فقرأ عليهم سورة الكهف فأراد عمرو أن يغضب النجاشي ، فقال : إنهم يسبون عيسى وأمه ، فقرأ عليهم سورة مريم ، فلما أتى على ذكر عيسى وأمه، رفع النجاشي نفاثة من سواكه، قدر ما يقذى العين ، فقال: والله ما زاد المسيح على ما يقول هؤلاء نقدا .

قال ابن إسحاق : فلما قال ذلك ، تناخرت بطارقته ، فقال : وإن نخرتم والله، اذهبوا فأنتم سيوم بأرضي -والسيوم: الآمنون- من سبكم غرم ، فلا هوادة اليوم على حزب إبراهيم، ما أحب أن لي دبرًا من ذهب ، وأني آذيت رجلا منكم -والدبر بلسان الحبشة الجبل- ثم قال مشيرًا إلى وفد قريش : ردوا عليهم هداياهم ، فلا حاجة لي فيها ، فوالله ما أخذ الله مني رشوة حين رد علي ملكي ، فآخذ الرشوة فيه ، وما أطاع الناس في فأطيعهم فيه ، فخرجا مقبوحين ، مردودًا عليهما ما جاءا به .

وفي هذه القصة نزلت : ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ [المائدة:٨٣] .

وفي الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ : « أن رسول الله ﷺ نعى النجاشي في اليوم الذي مات فيه ، فخرج إلى المصلى، فكبر أربع تكبيرات ، وقال : استغفروا لأخيكم ، وذلك في رجب سنة تسع من الهجرة » .

ثم لم تزل قريش تصب أنواع الأذى على كل من آمن بالرسول ﷺ ، إلا من كان له مَنْ يحميه ، ولم يزل ﷺ يعرض نفسه على قبائل العرب ؛ لعله يجد من ينصره ويؤويه .

ولما هال قريشًا كثرة من يؤمن بالله ورسوله ، رغم شدة تعذيبهم ، وأفزعهم ذلك ، ساوموه ﷺ أن يترك الدعوة إلى توحيد الله ، وإفراده بالعبادة ، ويتنازل عنها ، ويعطوه ما يريد من أموال ونساء ، ويملكوه عليهم إن شاء، والرسول لا يزيده ذلك إلّا صلابة ، وتصميما على دعوته ، والجهر برسالته، رسالة التوحيد ، والكفر بما يعبد من دون الله ، فلما يأسوا ، عزموا على قتله ، وهددوه مرارًا ، وأنذروا عمه تكرارًا .

ثم إن أبا طالب خشي منهم على محمد ﷺ ، فجمع عشيرته، وكل من يلتف بهم ، ممن آمن بمحمد ﷺ، أو لم يؤمن، إلا أنه لا يرضى أن يناله سوءًا، فدخلوا في شعب بني هاشم؛ ليحافظوا على رسول الله من فتك الأعداء به.

ثم لما رأت قريش منهم هذا ، وعلموا شدة تحزبهم ، وتكاتفهم من أجل حماية رسول الله ﷺ ، اجتمعوا ، وائتمروا أن يكتبوا كتابًا على بني هاشم ، وبني عبد المطلب ألا ينكحوا إليهم، ولا يناكحوهم ، ولا يبيعوا منهم شيئًا ، ولا يبتاعوا منهم، ولا يقبلوا لهم صلحًا أبدًا ، ولا تأخذهم بهم رأفة ، حتى يسلموا رسول الله ﷺ للقتل، وكتبوا ذلك في صحيفة، وعلقوها

في جوف الكعبة ، فأقاموا على ذلك سنتين ، وقيل ثلاث سنين ، حتى اشتد على رسول الله ﷺ ومن معه البلاء ، والجوع ، والعطش ، وكانت أصوات النساء والصبيان تسمع من داخل الشعب ، يتضاغون من الجوع ، وعظمت الفتنة ، وزلزلوا زلزالًا شديدًا .

ثم إن أبا طالب أنشد قصيدته اللامية المشهورة في ذلك التي أولها :

ولما رأيت القوم لا ود فيـــــهم   وقد قطعوا كل العرى والوسائل

وقد صارحونا بالعداوة والأذى   وقد طاوعـوا أمر العدو المزايــل

وقد حالفوا قومًا علينا أظنــــة   يعضـون غيظًا خلفنا بالأنامـــل

وقال فيها :

كذبتم وبيت الله نُبْزى محمـــدا   ولما نطاعــن دونــــه ونناضــل

ونسلمه حتى نصــــرع حــوله   ونذهل عن أبنائـــنا والحلائــل

ويقول فيها :

وما تركُ قوم لا أبا لك ســـيدًا   يحوط الذمـار غير ذرب مواكــل

وابيض يُستسقي الغمام بوجهـه   ثمال اليــتامى عصمة للأرامـــل

تلوذ به الهلاك من آل هاشـــم   فهـم عنـــده في رحمة وفواضــل

ويقول فيها :

لعمري لقد كُلفــت وجدًا بأحمد   وإخوته دأبَ المحب المـــواصل

فمن مثله في النـــاس أيُّ مؤمَّل إذا قاسه الحكام عند التفـاضـــل

حليم رشيد عادل غير طائـــش يوالي إلهًا ليس عـنه بغـافـــــل

فو الله لولا أن أجيء بســـــبة تجر على أشياخـنا في المحـــافل

لكنا اتبعناه على كل حـــــالة من الدهر جِدًا غير قول التـهازل

لقد علموا أن ابننا لا مكـــذَّب لدينا ولا يعنى بقول الأبـــاطل

فأصبح فينا أحمد في أرومـــــة تُقصِّر عنه سَـــوْرة المتـطاول

حَدِبْتُ بنفســـــي دونه وحميته ودافعت عنه بالذرا والكلاكـــل

ثم إن محمدًا ﷺ أخبر عمه بأن صحيفة قريش أكلتها الأرضة ، إلا ما كان فيها من اسم الله ، واجتمع ملأ من عقلاء قريش ، وسعوا في نقض هذه الصحيفة ، وأخبرهم أبو طالب بمقالة رسول الله ﷺ ، فلما أخذوها ، وجدوها كما أخبرهم ، وهذه معجزة من معجزاته ﷺ .

ثم لم يلبث أبو طالب أن مات ، ثم ماتت خديجة زوجة النبي ﷺ، وذلك في عام واحد، فحزن ﷺ عليهما حزنًا شديدًا، فسمي ذلك العام عام الحزن ، واشتد أذى قريش للنبي ﷺ .

وقد جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره : أن النبي ﷺ خرج وحده إلى الطائف ، يلتمس من ثقيف النصرة، فقصد عبد ياليل ، ومسعودًا وحبيبًا ، وهم إخوة بني عمرو بن عمير، وعندهم امرأة من قريش ، من بني جمح ، فدعاهم إلى الإيمان، وسألهم أن ينصروه على قومه ، فقال أحدهم هو

يمرط ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك .

وقال الآخر : ما وجد الله أحدًا يرسله غيرك!!

وقال الثالث : والله لا أكلمك أبدا ، إن كان الله أرسلك كما تقول فأنت أعظم خطرًا من أن أرد عليك الكلام ، وإن كنت تكذب فما ينبغي لي أن أكلمك .

ثم أغروا به سفهاءَهم وعبيدهم ، يسبونه ، ويضحكون به، حتى اجتمع عليه الناس ، وألجئوه إلى حائط لعتبة وشيبة ابني ربيعة، فقال للجمحية: ماذا لقينا من أحمائك؟! .

ثم قال : اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي ، وقلة حيلتي، وهواني على الناس ، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين ، وأنت ربي ، لمن تكلني ، إلى بعيد يتجهمني ، أم إلى عدو ملكته أمري ، إن لم يكن بك غضب علي ، فلا أبالي ، ولكن عافيتك هي أوسع لي ، أعوذ بنور وجهك الذي اشرقت له الظلمات من أن ينزل بي غضبك ، أو يحل علي سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بك .

فلما رآه ابنا ربيعة عتبة وشيبة ، وما لقي ، تحركت له رحمهما، فدعوا غلامًا لهما نصرانيًا ، يقال له عداس ، فقالا له : خذ قطفا من العنب ، وضعه في هذا الطبق ، ثم ضعه بين يدي هذا الرجل.

فلما وضعه بين يدي رسول الله ﷺ ، قال النبي ﷺ : باسم الله ، ثم أكل.

فنظر عداس إلى وجهه، ثم قال : والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلدة .

فقال النبي ﷺ : من أي البلاد أنت يا عداس؟ وما دينك؟ قال: أنا نصراني من أهل نينوى .

فقال له النبي ﷺ : أَمِنْ قرية الرجل الصالح يونس بن متى؟

فقال : وما يدريك ما يونس بن متى؟

قال : ذاك أخي ، كان نبيًا ، وأنا نبي.

فانكب عداس حتى قبَّلَ رأس النبي ﷺ ويديه ورجليه .

فقال له ابنا ربيعة : لم فعلت هكذا ؟

فقال : يا سيدي ما في الأرض خير من هذا ، أخبرني بأمر ما يعلمه إلا نبي .

ثم رجع ﷺ إلى مكة، وقد أصابه ما أصابه من الهم والغم؛ بسبب تكذيبهم لهم ، وشدة نفورهم عن الحق .

ثم إن الله جل وعلا أرسل له جبريل عليه السلام ، ومعه ملك الجبال، وسلم عليه ملك الجبال ، وقال : إن الله أرسلني إليك ؛ لتأمرني بأمرك، فإن أمرتني أن أطبق عليهم الأخشبين -يعني جبلي مكة على أهلها - فعلت ، فقال رسول الله ﷺ : لا، لعل الله يخرج من أصلابهم من يعبده لا يشرك به.

ثم لم يزل ﷺ مستمرًا بالدعوة إلى الله ، والمسلمون يتزايدون، مع ما يلاقون من الشدة من قريش .

ثم أسرى به ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثم عرج به إلى السماء ، وفرض الله عليه الصلوات الخمس ، ثم لما أصبح ، وأخبر قريشًا بما رأى من آيات الله ، اشتد تكذيبهم وازدادوا عتوا ونفورا ، واستمروا في الأذية، بل زادوا عليها ، وكان ذلك قبل الهجرة .

ثم إنه ﷺ يعرض نفسه في مواسم الحج على القبائل ، وأراد الله سبحانه الخير الكثير ، والشرف الرفيع ، والذكر الحسن ، والأجر العظيم لأهل المدينة ، فقبلوا دعوته ، وآمنوا به، وطلبوا أن يبعث معهم من يعلمهم، ويرشدهم، ففعل ﷺ، وانتشر الإسلام في المدينة ، وصارت دار هجرة ، وجعل أصحاب رسول الله يهاجرون إليها ، حتى أذن الله لرسوله في الهجرة إليها ، فهاجر ، واستقر مقامه ﷺ فيها ، وبني مسجده ، وحُجر نسائه حول المسجد، وذلك بعد مضي ثلاثة عشر عامًا من نزول الوحي عليه.

واجتمع إليه المهاجرون والأنصار ، وأقام الصلوات الخمس والجمعة في مسجده ، وزيد في صلاة الحضر ركعتين ، وكانت قبل ذلك ركعتين ركعتين ، كما روى البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها قالت : «فرضت الصلاة ركعتين ركعتين ، ثم جاء ﷺ المدينة ، ففرضت أربعًا ، وتركت صلاة السفر على الفريضة الأولى».

وشرع الأذان للصلوات الخمس بالمدينة ، بالرؤيا التي رآها عبد الله

بن زيد ﷺ، وقال رسول الله ﷺ : إنها لرؤيا حق ، وأمره أن يلقيه على بلال ﷺ ؛ لكونه أندى صوتًا منه .

ثم تلاحق المهاجرون إلى رسول الله ﷺ ، ولم يبق بمكة إلا من لم يستطع الهجرة ، أو ممن كان مفتونًا بماله ووطنه ، ولم يزل الأذى من قريش يتكرر على من في مكة ، أو ممن هاجر إلى المدينة، فإنه لما هاجر بنو جحش ، وخلت دارهم منهم ، قام أبو سفيان ، فباعها ، فلما بلَّغ ذلك عبدُ الله بن جحش الرسولَ ﷺ ، فقال له : أما ترضى يا عبد الله أن يعطيك الله بها دارًا بالجنة؟ قال : بلى . قال : ذلك لك .

وكان الأنصار رضي الله عنهم فرحوا برسول الله غاية الفرح ، والاستبشار ، فقالوا في ذلك الأشعار ، غبطة وسرورًا برسول الله ﷺ ، ومن جملة ذلك ما قاله أبو قيس ، صرمة ابن أبي أنس ، حين أسلم ، يذكر ما أكرمهم الله به من الإسلام ، وما خصهم به من نزول رسول الله عليهم :

ثوى في قريش بضع عشرة حجة يذكّـر لو يَلْقى حبيبـــا مواتيًا

ويعرض في أهل المواسم نفـــسه فلم يـر من يؤي ولم ير داعيـــا

فلما أتانـا أظهـــر الله ديـــنه فأصبح مسرورا بطيبة راضيـــا

وألفى صديقا واطمأنت به النوى وكان له عونـــًا من الله باديـــا

يقص لنا ما قـال نوح لقومـــه وما قال موسى إذ أجاب المناديـا

وأصبح لا يخشى من الناس واحدا قريبًا ولا يخشى من الناس نائيـا

بذلنا له الأموال من حل مالنـــا وأنفســنا عند الوغى والتآسيـا

ونعلم أن الله لا شيء غـــيره ونعلم أن الله أفضــل هاديـا

ونعلم أن الله لا رب غـــيره وأن كتاب الله أصبـح هاديـا

نعادي الذي عادى من الناس كلهم جميعًا وإن كان الحبيب المصافيا

ثم إن رسول الله ﷺ أُذن له بالقتال ، وكان قبل ذلك لم يُؤذن له، بل كان يؤمر بالصفح والإعراض عن الجاهلين ، لكن لما استقر بالمدينة ، وقويت الشوكة، أُذن لهم بالقتال،ولم يفرض عليهم، بل أنزل الله على رسوله:﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ﴾[الحج:٣٩] .

قال ابن عباس ، ومجاهد ، وعروة بن الزبير ، وزيد بن أسلم ، ومقاتل ابن حيان ، وقتادة ، وغيرهم: هذه أول آية نزلت في الجهاد ، وعلل الأذن لهم بذلك ، بأنهم ظلموا، وكانوا قبل ذلك يأتون النبي ﷺ ، ما بين مضروب ومشجوج ، فيقول لهم : اصبروا ، حتى هاجر ، فأُذن له في القتال .

قال بعض العلماء : أُذن له ﷺ بالقتال ، بعد ما نُهي عنه في نيف وسبعين آية .

وقال بعض العلماء : إنَّ هذا الإذن كان بمكة ، والسورة مكية ، وهذا غلط لوجوه :

أحدها : أنه لم يكن لهم شوكة ، يتمكنون بها من القتال بمكة .

الثاني : أن سياق الآية يدل على أن الإذن بالقتال حصل بعد الهجرة ،

وإخراجهم من ديارهم ، فإن الله تعالى قال : ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝٣٩ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ ﴾ [الحج:٣٩-٤٠] .

والثالث : أنه خاطبهم في آخرها بقوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ ﴾ [الحج:٧٧] ، والخطاب بذلك كله مدني، وأما الخطاب بـ (يا أيها الناس) فمشترك ، ثم فرض عليهم القتال بعد ذلك لمن قاتلهم ، دون من لم يقاتلهم ، فقال تعالى : ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ ﴾ [البقرة:١٩٠]، ثم فرض عليهم قتال المشركين كافة.

ومن هنا يتبين لك أن الجهاد والقتال كان على مراحل تدريجية في شريعته ﷺ ، فإنه كان محرمًا وقت ضعف المسلمين وقلتهم ، ثم لما قويت شوكتهم أذن لهم به إذنًا دون إيجاب ، ثم لما كانت الشوكة أشد، وأقوى ، أمروا أمر إيجاب لمن بدأهم بالقتال، ثم أمروا أن يقاتلوا المشركين حتى يكون الدين كله لله.

وقد كان ﷺ قائما بأنواع الجهاد كلها : جهاد الكفار ، وجهاد المنافقين، وجهاد الشيطان ، وجهاد النفس .

وقد بين الإمام ابن القيم رحمه الله هذه الأنواع في كتابه زاد المعاد ، وأوضح أن المرتبة الأولى هي جهاد النفس، وهي على أربع مراتب :

أحدها : أن يجاهد نفسه على تعلم الهدى .

الثانية : العمل به بعد علمه .

الثالثة : جهادها على الدعوة إليه ، وإلا كان من الذين يكتمون ما أنزل الله من البينات .

الرابعة : جهادها على الصبر على مشاق الدعوة ، ويتحمل ذلك كله لله .

المرتبة الثانية : جهاد الشيطان من الشبهات ، وهذا الجهاد على مرتبتين: جهاد على دفع ما يلقي الشيطان من الشبهات ، وجهاد على دفع ما يلقي في القلب من الشهوات ، فيدفع الشبهات بيقينه ، ويدفع الشهوات بصبره ، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة:٢٤].

المرتبة الثالثة من مراتب الجهاد: جهاد الكفار والمنافقين، وهذا يكون بالقلب ، واللسان ، والمال ، والنفس ، وجهاد الكفار باليد أخص ، وجهاد المنافقين باللسان أخص.

والمرتبة الرابعة من أنواع الجهاد : جهاد أرباب الظلم، والمنكرات ، والبدع ، وهذا على ثلاث مراتب : الأول باليد مع القدرة ، فإن عجز فباللسان ، فإن عجز فبالقلب .

ولقد كان ﷺ مستغرقًا وقته في جميع أنواع الجهاد ، فكان يجاهد الكفار بنفسه ، ويبعث السرايا ، وينظم الجيوش، ويجادل أهل الكتاب ، ويدعوهم إلى الإسلام ، ويعظ المنافقين، ويدعوهم إلى السبيل الأقوم بالحكمة

والموعظة الحسنة ، ويصبر على ما يلقاه من المشركين ، ومن أهل الكتاب، ومن المنافقين من الأذى ، ويصبر على ذلك كله صلوات الله وسلامه عليه .

* * *

فصل

في ذكر بعض فضائل النبي ﷺ وشمائله

روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: « بعثت من خير قرون بني آدم قرنا فقرنًا ، حتى كنت من القرن الذي كنت فيه » .

وفي صحيح مسلم عن واثلة بن الأسقع قال: قال رسول الله ﷺ: « إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل ، واصطفى قريشًا من كنانة ، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم» .

هذا النبي الكريم والرسول الأعظم ﷺ أعطاه الله جل وعلا ما لم يعط أحدًا من الأنبياء قبله ، وفضله عليهم أجمعين، يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ [البقرة:٢٥٣].

وفي الحديث الذي رواه البخاري ومسلم وأحمد واللفظ له عن النبي

ﷺ قال : « أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد قبلي : بعثت إلى الأحمر والأسود ، ونصرت بالرعب ، فإن العدو ليرعب مني على مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا ، وأحلت لي الغنائم ، ولم تحل لأحد كان قبلي، وقيل لي: سل تعطه ، فاختبأتها شفاعة لأمتي، فهي نائلة منكم إن شاء الله من لا يشرك بالله شيئًا» .

فبهذه الأشياء وغيرها ، تبين فضله ﷺ على سائر الأنبياء والمرسلين ، فالرسل أفضل الأنبياء ، وأولو العزم أفضل الرسل ، ومحمد ﷺ أفضل أولى العزم ، فأولو العزم :

نوح عليه السلام : وقد خصه الله بأشياء كثيرة ، ومنها : قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴾ [الصافات:٧٧] .

وإبراهيم عليه السلام : خصه الله بأشياء عديدة ، ومنها قوله تعالى : ﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾ [النساء:١٢٥] .

وموسى عليه السلام : خصه الله بآيات عظيمة ، ومنها قوله تعالى : ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ [النساء:١٦٤] .

وعيسى عليه السلام : خصه الله بأشياء : ومنها قوله تعالى على لسان عيسى عليه السلام : ﴿ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾[آل عمران:٤٩] .

ومحمد ﷺ : خصه الله بأشياء كثيرة :

منها : أنه خاتم النبيين يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ

أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ [الأحزاب:٤٠] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «مثلي ومثل الأنبياء من قبلي ، كمثل رجل بنى بنيانًا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه ، فجعل الناس يطوفون به ، ويعجبون له ، ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة، قال : فأنا اللبنة ، وأنا خاتم النبيين » رواه مسلم .

ومنها : أنه أرسل إلى الناس كافة، يقول جل وعلا : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف:١٥٨] ، ويقول سبحانه : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [سبأ:٢٨] ، ورفعه الله جل وعلا درجات يقول سبحانه : ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ [البقرة : ٢٥٣] .

قال الإمام ابن جرير رحمه الله في تفسيره :

قوله سبحانه : ﴿ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ﴾ ، كلم الله موسى ، وأرسل محمدًا إلى الناس كافة.

ومنها : أنه ﷺ المقدم على الأنبياء ، وكان إمامهم ﷺ ليلة الإسراء في

بيت المقدس ، وشريعته ﷺ ناسخة لجميع الشرائع، قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَـٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴾[آل عمران : ٨١] . وقال ﷺ لعمر بن الخطاب : « والله لو كان موسى حيًا ما وسعه إلا اتباعي» . وقال علي بن أبي طالب وابن عباس رضي الله عنهم : ما بعث الله نبيًا من الأنبياء إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث الله محمدًا وهو حي ليؤمنن به ، ولينصرنه، وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به، ولينصرنه. وإذا نزل عيسى عليه السلام فإنه يحكم بشريعة محمد ﷺ .

ومنها : أن الله جل وعلا أثنى عليه في كتابه الكريم ووصفه بأوصاف متعددة .

فقد وصفه جل وعلا في الذكر الحكيم بالخلق العظيم، فقال سبحانه: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم:٤] .

وأنه بالمؤمنين رؤوف رحيم ، يقول تبارك وتعالى: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة :١٢٨] .

وأنه ﷺ رحمة للعالمين ، قال سبحانه : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء : ٤٦] .

ومنها : أنه ﷺ سيد ولد آدم وأكرمهم على الله جل وعلا.

ومنها : أنه ﷺ حبيب الله جل وعلا .

ومنها : أنه ﷺ أول شافع وأول مشفع .

ومنها : أنه ﷺ أول من تفتح له الجنة .

ومنها : أنه ﷺ صاحب المقام المحمود يوم القيامة الذي يحمده فيه أهل السموات والأرض .

ومنها : أنه ﷺ حامل لواء الحمد في اليوم الموعود .

ومنها : أنه ﷺ أول الناس خروجًا إذا بعثوا ، وخطيبهم إذا وفدوا ، ومبشرهم إذا أيسوا .

يقول ﷺ متحدثًا بنعم الله : « أنا حبيب الله ولا فخر ، وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر ، وأنا أول شافع ، وأول مشفع يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول من يحرك حلق الجنة ، فيفتح الله لي ، فيدخلنيها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر، وأنا أكرم الأولين والآخرين » رواه الترمذي .

ويقول ﷺ : « أنا أول الناس خروجًا إذا بعثوا ، وأنا خطيبهم إذا وفدوا ، وأنا مبشرهم إذا أيسوا، لواء الحمد يومئذ بيدي ، وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر» رواه الترمذي .

وروى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما

يقول ، ثم صلوا علي ، فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرًا ، ثم سلوا الله لي الوسيلة ، فإنها منزلة في الجنة ، لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله ، وأرجو أن أكون أنا هو ، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة » .

ومنها : أن المولى جل وعلا آتاه السبع المثاني والقرآن العظيم ، يقول سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَـٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴾ [الحجر:٨٧] .

ومنها : أن الله خصه بنعمة الكوثر، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَـٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴾ [الكوثر: ١-٣] .

وروى مسلم في صحيحه من حديث أنس بن مالك ﷺ قال: بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا في المسجد، إذ أغفى إغفاءة ، ثم رفع رأسه متبسمًا ، قلنا : ما أضحكك يا رسول الله؟ قال : لقد أنزلت علي آنفًا سورة ، فقرأ ﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَـٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴾ ثم قال : أتدرون ما الكوثر ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم ، قال : فإنه نهر وعدنيه ربي عز وجل ، عليه خير كثير ، وهو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد النجوم، فيختلج العبد منهم، فأقول: رب إنه من أمتي، فيقول :ما تدري ما أحدثوا بعدك ».

ومنها : أنه ﷺ صاحب الشفاعة العظمى يوم المحشر، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « كنا مع النبي ﷺ في دعوة فرفع إليه الذراع ، وكانت تعجبه ، فنهس منها نهسة ، وقال : أنا سيد القوم يوم القيامة ، هل تدرون

بم يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد ، فيبصرهم الناظر ، ويسمعهم الداعي ، وتدنو منهم الشمس ، فيقول بعض الناس : ألا ترون إلى ما أنتم فيه إلى ما بلغكم ، ألا تنظرون إلى من يشفع لكم إلى ربكم ، فيقول بعض الناس : أبوكم آدم ، فيأتونه ، فيقولون : يا آدم ؛ أنت أبو البشر، خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، وأسكنك الجنة، ألا تشفع لنا إلى ربك ؟ ألا ترى ما نحن فيه ، وما بلغنا ؟ فيقول : ربي غضب غضبًا لم يغضب قبله مثله ، ولا يغضب بعده مثله ، ونهاني عن الشجرة ، فعصيت، نفسي ، نفسي ، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح، فيأتون نوحًا فيقولون : يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض، وسماك الله عبدًا شكورًا ، أما ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما بلغنا؟ ألا تشفع لنا إلى ربك؟ فيقول : ربي غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولا يغضب بعده مثله، نفسي ، نفسي ، ائتوا النبي ﷺ ، فيأتوني فأسجد تحت العرش ، فيقال : يا محمد ارفع رأسك، واشفع تشفع ، وسل تعطه » رواه البخاري ومسلم .

بعثه الله بالحنيفية السمحة إلى الناس كافة ، الغني والفقير، العرب والعجم،الأسود والأحمر﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [سبأ : ٢٨] . ويقول ﷺ : « إني لم أبعث باليهودية ولا بالنصرانية ، ولكني بعثت بالحنيفية السمحة » رواه أحمد . وقال ﷺ : «أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد قبلي : بعثت إلى الأحمر والأسود » الحديث رواه أحمد وغيره .

هو النعمة المعطاة ، والرحمة المهداة ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَـٰكَ إِلَّا رَحۡمَةً

لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٧] .

دينه القويم هو الصراط المستقيم وهو أحسن سبيل ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام :١٥٣]. ببركته منح الله أهل بيته أفضل الخصال ، وجعلهم خير آل، وطهرهم تطهيرًا ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٣٣] .

نالوا به شرفًا كبيرًا ، وفضلًا عظيمًا ، قُرنوا معه بالصلاة والسلام عليه، كلما صلى المؤمنون ، وسلموا عليه؛ لاسيما أدبار الصلوات الخمس ، في كل فجر ومغيب شمس ، بل في كل عبادة ذات ركوع وسجود ، وقيام وقعود ، فضائلهم مشهورة ، ومناقبهم مأثورة ، وأذكارهم مشهودة ، وسيرهم محمودة .

وبصحبته ﷺ نال المهاجرون والأنصار كل اعتزاز وافتخار، وأثنى عليهم الواحد القهار ، في محكم الكتب والأذكار ، فقال سبحانه : ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة : ١٧٧] ، وقال جل جلاله : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ

ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الفتح : ٢٩] .

وقال تبارك وتعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر:٩].

يا له من شرف عظيم ، حينما يذكرون معه ﷺ في الذكر الحكيم ، نصر الله بهم هذا الدين، وجعلهم قدوة لنا إلى يوم الدين ، وأمرنا النبي ﷺ بالتمسك بسنته ، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، فعلى هديه ساروا ، وبسنته تمسكوا وقادوا.

شرح الله صدر رسوله ﷺ للدعوة والإيمان ، ووضع عنه وزره والآثام، ورفع ذكره بين الخلائق والأنام ، يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ [الشرح :١-٤].

قال الإمام الشوكاني رحمه الله في تفسير هذه الآيات :

«المراد : الامتنان عليه ﷺ بفتح صدره وتوسيعه حتى قام بما قام به من الدعوة ، وقدر على ما قدر عليه من حمل أعباء النبوة ، وحفظ الوحي .

ووضع الله عنه ما كان فيه من أمر الجاهلية ، قال الحسن وقتادة والضحاك ومقاتل : المعنى : حططنا عنك الذي سلف منك في الجاهلية ،

وهذا كقوله سبحانـــــه : ﴿ لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَيَهۡدِيَكَ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ﴾ [الفتح : ٢] .

وقوله سبحانه : ﴿ وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ ﴾ [الشرح:٤] ، قال الحسن : وذلك أن الله لا يذكر في موضع إلا ذكر معه ﷺ ، وقال قتادة : رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة ، فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة إلا ينادي، فيقول : أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمدًا رسول الله ، قال مجاهد : رفعنا لك ذكرك يعني بالتأذين . وقيل : المعنى ذكرناك في الكتب المنزلة على الأنبياء قبلك ، وأمرناهم بالبشارة بك ، وقيل : رفعنا ذكرك عند الملائكة في السماء ، وعند المؤمنين في الأرض ، والظاهر أن هذا الرفع لذكره الذي امتن الله به عليه يتناول جميع هذه الأمور ، وكذلك إخباره ﷺ أن من صلى عليه واحدة صلى الله عليه بها عشرًا، وأمر الله بطاعته، واتباعه في آيات من كتابه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ﴾ [النساء:٥٩] ، ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ ﴾ [الحشر : ٧] .

وبالجملة فقد ملأ ذكره الجليل السماوات والأرضين، وجعل الله له من لسان الصدق والذكر الحسن والثناء الصالح ما لم يجعله لأحد من عباده، وما أحسن قول حسان رضي الله عنه :

أغر عليه للنبـــوة خـــــــاتم ... من الله مشـهود يلوح ويشـــهد

وضم الإله اسم النبي إلى اسمه ... إذا قال في الخمس المؤذن أشهد

وشـــق له من اســـمه ليجلــه ... فذو العرش محمود وهذا محمد

انتهى مختصرًا .

استمع له الجن ، وهو يتلو القرآن ، فعلموا أنه جاء بالحق والبرهان ، فانصرفوا يدعون قومهم إلى الإيمـــان ، ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأحقاف: ٢٩-٣٢] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

« ومما يجب أن يعلم أن الله بعث محمدًا ﷺ إلى جميع الإنس والجن ، فلم يبق إنس ولا جن إلا وجب عليه الإيمان بمحمد ﷺ، وإتباعه ، فعليه أن يصدقه فيم أخبر، ويطيعه فيما أمر ، ومن قامت عليه الحجة برسالته فلم يؤمن به فهو كافر ، سواء كان إنسيًا أو جنيًا ، وهو ﷺ مبعوث إلى الثقلين باتفاق المسلمين ، وقد استمعت الجن القرآن ، وولوا إلى قومهم منذرين ، وذلك لما كان النبي ﷺ يصلي بأصحابه ببطن نخلة ، لما رجع من الطائف ، وأخبره الله بذلك في القرآن العظيم بقوله: ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ...الآية ﴾ [الأحقاف:٢٩]، وأنزل الله بعد ذلك قوله : ﴿ قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ...الآية ﴾ [الجن : ١-٢] ،

ولما سمعت الجن القرآن أتوا رسول الله ﷺ ، وآمنوا به وهم جن نصيبين كما ثبت في الصحيح من حديث ابن مسعود رضي الله عنه ، وروي أنه قرأ عليهم سورة الرحمن ، وكان إذا قال ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ [الرحمن : ١٣] قالوا: ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب فلك الحمد» اهـ من مجموع الفتاوى.

وقد وفدت الجن على رسول الله ﷺ ، مرة بعد مرة، وأخذوا عنه ﷺ الشرائع.

أعطاه الله من البراهين القاطعات ، والمعجزات الباهرات على صدق نبوته ، ما لم يحصل لغيره من المرسلين، فآمن به ذوو الألباب السليمة عن اقتناع ، وإيمان بحجته القويمة ، ورسالته العظيمة ، وأبى من سبق عليه الشقاء عنادًا وجحودًا وتكبرًا وصدودًا ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ [الأنعام:٣٣].

أسري به إلى بيت المقدس ، وعرج به إلى السماء في ليلة أو بعض ليلة ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الإسراء : ١] ، والمشركون بمكة قومه وجيرانه ، يعلمون أنه لم يسبق أن رأى بيت المقدس ، فطلبوا منه أن يصفه لهم لعلهم يعثرون منه على زلل ، أو يجدون وصفًا فيه خلل ، فوصفه ﷺ وصفًا دقيقًا ، كأنه يشاهده عيانًا ، بل قد جاء في بعض الآثار أن الله صيره بين عينيه يراه واضحًا جليًا ، فلما وَصَفَهُ وَصْفَهُ الحقيقي أُلقموا حجرًا، وما استطاعوا أن يقولوا له هجرًا،

بل علموا أنه حق ، وأن ما أخبر به صدق، ومع ذلك لم يؤمنوا به ، ﴿ وَمَا تُغْنِى ٱلْأَيَـٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ [يونس : ١٠١] .

جبله الله على أحسن الصفات ، وأعلى المقامات ، وتمم به مكارم الأخلاق ، اجتمع له حسن الخُلق وحسن الخَلْق ، فما رآه أحد سليم القلب إلا علم صدق نبوته ، كما قال حسان رضي الله عنه:

لو لم تكن فيه آيات مبينة كانت بديهته تأتيك بالخبر

ما سمع أحد من العقلاء بما يأمر به أو ينهي عنه إلا عرف أنه نبي ، ولما بلغ الأحنف بن قيس ما يدعو إليه ﷺ قال لقومه : يا قوم إنه يدعو إلى خير ، ويأمر بخير ، وقال : إنه يدعوكم إلى مكارم الأخلاق ، وينهاكم عن مساوئها ، فأسلم رضي الله عنه ، وأسلم قومه .

جعل الله أمته خير الأمم ، ووضع عنهم الإصر والأغلال، ورفع عنهم الحرج والمؤاخذة بالخطأ والنسيان ، قال تعالى : ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ [آل عمران:١٠٩] ، وقال سبحانه : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة : ١٤٣] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « لما نزلت على رسول الله ﷺ ﴿ لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ

قَدِيرٌ﴾ [البقرة : ٢٨٤] اشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ فأتوا رسول الله ﷺ، ثم جثوا على الركب ، وقالوا : يا رسول الله كلفنا من الأعمال ما نطيق الصلاة والصيام والجهاد والصدقة ، وقد نزلت عليك هذه الآية ، ولا نطيقها ، فقال رسول الله ﷺ : أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتاب من قبلكم : سمعنا وعصينا !! بل قولوا : سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير ، فلما أقر بها القوم وذلت بها ألسنتهم أنزل الله في إثرها : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ [البقرة:٢٨٥]، فلما فعلوا ذلك نسخها الله، فأنزل الله : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرًا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَـٰفِرِينَ ﴾ [البقرة:٢٨٦] .»

كان ﷺ يدعو إلى عبادة الله وحده ، إلى عبادة الخالق ، وترك عبادة المخلوق ، فالله سبحانه المستحق وحده للعبادة، كما قال سبحانه : ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ﴾ [الكوثر: ٢] ، وقال جل شأنه: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَـٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣].

يدعو إلى مكارم الأخلاق ، والأمر بالبر، والوفاء ، والصدق ،

والإحسان ، وصلة الأرحام ، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر ، والبر بالوالدين ، والعطف على الفقراء والمساكين .

كان خُلُقه ﷺ القرآن ، كما ثبت عن عائشة رضي الله عنها أنها سئلت عن خُلُق رسول الله ﷺ فقالت : « كان خلقه القرآن» رواه أحمد .

قال الإمام ابن كثير رحمه الله في تفسيره : « معنى هذا أنه عليه الصلاة والسلام صار امتثال القرآن أمرًا ونهيًا سجية له وخلقًا ، تطبعه ، وترك طبعه الجبلي ، فمهما أمره القرآن فعله ، ومهما نهاه عنه تركه ، هذا مع ما جبله الله عليه من الخلق العظيم من الحياء والكرم والشجاعة والصفح والحلم ، وكل خلق جميل» اهـ .

لقد كان القرآن خلق النبي ﷺ ، والقرآن يدعو إلى كل خير ، وينهي عن كل شـــر ، يقول سبحانه : ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء:٩]، ويقول جل شأنه : ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝١٥ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [المائدة:١٦] وقال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل:٩٠] ، ويقول تعالى : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف : ١٩٩] ، ويقول عز وجل عن لقمان عليه السلام : ﴿ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ

أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴾ [لقمان : ٤١٢] ، إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة الآمرة بكل خير .

ويقول ربنا تبارك وتعالى في وصف نبيه محمـــــد ﷺ : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم :٤].

وقال ﷺ : «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» رواه البيهقي.

وفي لفظ : « لأتمم صالح الأخلاق » رواه أحمد .

وقال أنس بن مالك رضي الله عنه : خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين، فما قال لي أف قط ، ولا قال لشيء فعلته: لم فعلته؟ ولا لشيء لم أفعله: ألا فعلته ، وكان ﷺ أحسن الناس خلقًا، ولا مسست خزًا ولا حريرًا ولا شيئًا كان ألين من كف رسول الله ﷺ ، ولا شممت مسكًا ولا عطرًا كان أطيب من عرق رسول الله ﷺ .

وقال البراء ﷺ : « كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجهًا ، وأحسن الناس خلقًا » .

وقالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها : « ما ضرب رسول الله ﷺ بيده خادمًا له قط ، ولا ضرب بيده شيئًا قط، إلا أن يجاهد في سبيل الله ، ولا خير بين شيئين قط إلا كان أحبهما إليه أيسرهما ، حتى يكون إثمًا ، فإن كان إثمًا كان أبعد الناس من الإثم ، ولا انتقم لنفسه من شيء يؤتى إليه، إلا أن تنتهك حرمات الله ، فيكون هو ينتقم لله عز وجل ».

هذه الأمور كلها تدل على صدق نبوته ﷺ ، وأنه مرسل من عند الله ؛

لأن هذه الصفات وهذه التعليمات لا تصدر عن بشر ؛ لأن البشر إذا لم يؤيد بوحي من الله فإن مبنى أمورهم على التناقض ، والاختلاف ، وإتباع الأهواء، كما قال سبحانه: ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء:٨٢].

ومن المعلوم أن النفوس البشرية تطلب ما يلائمها، ويتبع رغبتها وحدها ، وتدور على مصلحتها الخاصة ، وإن كان في ذلك الأثرة على الآخرين ، أو الظلم ، أو الاستبداد، كما قال المتنبي :

والظلم من شيم النفوس فإن تجد ذا عفـــة فلعلـــة لا يظـــلم

فالنبي ﷺ لما كان مشتملًا على أكمل الأوصاف، وأشرف الخلال ولا يقوى أحد على الاتصاف بكل صفاته وأخلاقه ، عُلم أنه مؤيد من عند الله، وأن الله خلقه ، واختاره ، وجبله على أحسن الأفعال ؛ ليكون قدوة للأمة ، وليعلم كل أحد أن هذه الصفات لا تكون بقدرة سائر البشر، ولكنه تأييد من الله، كما قال حسان رضي الله عنه :

خلقت مبرءًا من كل عيب كأنك قد خلقت كما تشاء

جاءت أوصافه ﷺ في الكتب المنزلة على الأنبياء والرسل من قبله ، حتى عرفَه بصفاته كلُّ من عنده علم من أهل الكتاب ، ولكن منعهم من الإيمان به الحسد ، أو حب الرئاسة، أو النفاسة، كما قال سبحانه : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة:١٤٦].

وقال جل وعلا : ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف:١٥٧].

وكما في قوله سبحانه: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًاۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾ [الفتح : ٢٩] ، إلى غير ذلك من الآيات الواردة في هذا المعنى .

وكما في الحديث الذي رواه البخاري عن عطاء بن يسار ﷺ، قال : لقيت عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما فقلت أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة فقال: « أجل والله ، إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في الفرقان: يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا وحرزًا للأميين ، أنت عبدي ، ورسولي ، سميتك المتوكل، ليس بفظ، ولا غليظ ، ولا سخاب بالأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويغفر ، ولن يقبضه الله حتى يقيم به ملة العوجاء ، بأن يقولوا لا إله إلا الله ، ويفتح به أعينا عميًا ، وآذانًا صمًا ، وقلوبًا غلفًا».

وروي عن مقاتل بن حيان قال : « أوحى الله إلى عيسى ابن مريم : جد في أمري ، ولا تهزل ، واسمع ، وأطع، يا ابن الطاهرة البتول، إني خلقتك من غير فحل، وجعلتك آية للعالمين ، فإياي فاعبد ، وعليّ فتوكل ، فبين لأهل سوران أني أنا الحق القائم الذي لا أزول ، صدقوا بالنبي العربي، صاحب الجمل ، والمدرعة ، والعمامة ، والنعلين ، والهراوة ، الجعد الرأس ، الصلت الجبين ، والمقرون الحاجبين ، الأدعج العينين، الأقنى الأنف ، الواضح الخدين ، الكث اللحية ، عرقه في وجهه كاللؤلؤ ، ريحه المسك ، ينفخ منه ، كأن عنقه إبريق فضة، وكأن الذهب يجري في تراقيه ، له شعرات من لبته إلى سترته ، تجري كالقضيب ، ليس على صدره ولا بطنه شعر غيره، ثشن الكفين والقدم ، إذا جاء مع الناس عمرهم ، وإذا مشى كأنما ينقطع من الصخر ، وينحدر في صبب ، ذو النسل القليل » .

كان ﷺ مضرب المثل في الشجاعة والثبات في الأمور،والعزم والحزم، يضع الشدة في موضعها ، واللين في موضعه.

لما اعتدى العرنيون على راعي رسول الله ، وأخذوا إبله، وقتلوا الراعي ، وسملوا عينيه ، عاقبهم ﷺ بالعقوبة المناسبة ، جزاء وفاقًا ، فسمل أعينهم ، وقطع أيديهم ، وتركهم في ناحية الحرة ، حتى ماتوا ، وكذا ما عمله ﷺ في بني قريظة عندما حكم فيهم سعد بن معاذ رضي الله عنه ، ونفذ حكمه ﷺ ، لما نقضوا العهد ، وأعانوا المشركين على رسول الله ، وخانوا الله ورسوله، فهذا وصف من أوصاف القوة ، والشجاعة ، والغضب لله ، ولدينه ، والحماية لبيضة الإسلام ، والذود والذب عنه .

وقد كان من صفاته ﷺ الرأفة، والرحمة، والعطف ، واللين، فلقد كان ﷺ يسأل ربه التخفيف لأمته ؛ مخافة الحرج عليهم . وقد كان ﷺ يدخل في الصلاة ، يريد تطويلها ، ثم يسمع بكاء الصبي، فيخففها ؛ مخافة أن يشق على أمه . وربما أصغى الإناء للهرة ، فما يرفعه حتى تروى .

ولما تناهى أذى قريش له ، واشتد ذلك عليه ، وبلغ به ما بلغ عندما رجع من الطائف ، وضاق صدره بذلك ، أرسل الله له ملك الجبال ، وسأله أن يطبق عليهم الأخشبين ، فقال ﷺ: «أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئًا».

ويقول ابن مسعود ﷺ: « كان رسول الله يتخولنا بالموعظة، وكانت الجارية تأخذ بيده ، وتذهب به إلى حيث تريد» .

وكان ﷺ يمازح أصحابه ، ويداعبهم ؛ بقصد إدخال السرور عليهم ، ولا يقول إلا حقًا ، ويداعب الصغير والكبير، والمرأة والرجل ، وكان الصحابة يتمازحون بين يديه، وهو يبتسم.

وأما سماحته وكرمه وسخاؤه ﷺ فقد بلغ الغاية ، فقد كان يعطي الرجل الواحد مائة بعير ، ويعطي الغنم التي ملأ ما بين الجبلين للرجل الواحد، وقد رد سبي هوازن لأصحابها ، لما جاؤوا مسلمين تائبين ، وقد قيل : إنها تبلغ حوالي ستة آلاف رأس . وقال أنس ﷺ : ما سئل رسول الله ﷺ شيئًا إلا أعطاه .

ومع هذا كله كان ﷺ هو الحاكم، والمفتي ، والإمام، والقائد الأعلى

للجيوش ، والمعلم، ورجل السياسة، والواعظ، والمرشد، والمخطط ، والمنفذ .

ولقد حصل له ﷺ من الغزوات ما يزيد على عشرين غزاة، وأقل ما قيل فيها : إنها تسع عشرة ، وأكثر ما قيل فيها: إنها سبع وعشرون ، وأما السرايا والبعوث ، فقيل : إنها ثلاثون، وقيل : خمسون ، وقيل : ستة وخمسون ، وقيل: أكثر من ذلك ، فصلاة الله وسلامه عليه إلى يوم الدين .

لقد كانت أنفاسه ﷺ وأوقاته وحياته كلها حافلة بأنواع البر، والهدى، والصبر ، والتحمل ، والعطف ، والإحسان ، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، يدعو لأحسن الأخلاق، وينهى عن سيئها ، كما قال عليه الصلاة والسلام : « بعثت لأتمم مكارم الأخلاق ، وأنهى عن سفسافها » .

كل من رآه وجالسه ، أو سمع أخباره ، أو بلغته أقواله ﷺ عرف أنه رسول رب العالمين حقًا .

لقد كان ﷺ أصدق الناس لهجة ، وأكملهم عفة ، وأمانة.

قال علي بن أبي طالب ﷺ في وصف رسول الله ﷺ :

كان أصدق الناس لهجة ، وألينهم عريكة ، كان أزهد الناس ، رضي بحالة المسكنة ، وقلة اليد ، مع قدرته على الغنى، فتركه زهدًا به ، لقد فتحت عليه الفتوح ، وجلبت له الأموال، ومات ودرعه مرهون عند يهودي في نفقة أهله، وكان يقول : «اللهم اجعل رزق آل محمد قوتًا» .

كان ﷺ يكرم صدائق خديجة رضي الله عنها ، ويصلهم فسئل عن

ذلك ، فقال : « إن حسن العهد من الإيمان» .

لقد وصفته أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها بقولها له ﷺ: «إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتعين على نوائب الحق» .

لقد بلغ الغاية في التواضع ، خَيَّرَه الله بين أن يكون نبيًا ملكا، أو نبيًا عبدًا ، فاختار أن يكون نبيا عبدًا . كان يجيب من دعاه بلبيك ، ويعود المسكين ، ويسلم على الصبيان إذا مر بهم ، ويجالس الفقراء .

قالت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها : « كان في بيته في خدمة أهله ، يفلي ثوبه ، ويحلب شاته ، ويرقع ثوبه ، ويخصف نعله، ويخدم نفسه ، ويذبح أضحيته وبُدْنه ، ويعلف ناضحه ، ويأكل مع الخادم » ، لما دخل ﷺ فاتحًا مكة ، طأطأ رأسه ، حتى كاد يمس عثنونه قادمة الرحل ، تواضعًا لله . وكان يقول : « لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم ، إنما أنا عبد الله ورسوله» . وقال : « لا تفضلوني بين الأنبياء» .

فصلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه .

❊ ❊ ❊

فصل

في ذكر معجزاته ﷺ ودلائل نبوته

لقد أوتي النبي ﷺ من دلائل النبوة والمعجزات وخوارق العادة ما لا يمكن الإحاطة به في مثل هذه الرسالة الموجزة ، ولكن نذكر منها ما تيسر إن شاء الله تعالى، مما يحصل به الكفاية، وقد قام العلماء رحمهم الله قديمًا وحديثًا بتصنيف المصنفات في سيرته ﷺ، وألفوا في شمائله، وألفوا في معجزاته، وهي كثيرة موجودة ولله الحمد، والمقصود الإشارة إلى شيء من ذلك بهذه الرسالة مما صح وثبت برواية الثقات الأثبات .

فمن أعظم معجزاته ﷺ القرآن العظيم الذي أنزله الله على نبيه محمد ﷺ بواسطة جبريل فكان هاديًا وسراجًا ونورًا للعالمين ، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه في وصف القرآن الكريم : « كتاب الله تبارك وتعالى، فيه نبأ ما كان قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، وهو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يَخْلَقُّ عن كثرة الرد ، ولا تنقضي عجائبه .. ، من قال به صدق ، ومن عمل به أجر ، ومن حكم به عدل ، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم » رواه الترمذي.

ومن معجزاته ﷺ ما ثبت في الصحيحين عن حذيفة رضي الله عنه قال ﷺ : «قام فينا رسول الله ﷺ مقامًا ، ما ترك شيئًا يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة ،

إلا حدث به ، حفظه من حفظه، ونسيه من نسيه ، قد علمه أصحابي هؤلاء، وإنه ليكون منه الشيء قد نسيته ، فأراه، فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه ، ثم إذا رآه عرفه » رواه مسلم في صحيحه .

وفي مسلم أيضًا عن أبي زيد عمرو بن أحطب رضي الله عنه قال: «صلى بنا رسول الله ﷺ الفجر، وصعد المنبر، فخطبنا ، حتى حضرت الظهر ، فنزل ، فصلى ، ثم صعد المنبر ، فخطبنا حتى حضرت العصر ، ثم نزل ، فصلى ، ثم صعد المنبر ، فخطبنا ، حتى غربت الشمس، فأخبرنا بما كان ، وبما هو كائن، فأعلمنا أحفظنا »

وفي صحيح البخاري عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: « بينا أنا عند النبي ﷺ ، إذ أتاه رجل ، فشكا إليه الفاقة، ثم أتى آخر، فشكا إليه قطع السبيل، فقال : يا عدي هل رأيت الحيرة؟ فقلت: لم أرها ، وقد أنبئت عنها ، قال : فإن طالت بك الحياة لترين الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة ، لا تخاف أحدا إلا الله – قلت فيما بيني وبين نفسي: فأين دعار طيء الذين قد سعروا في البلاد ؟ – ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى، قلت: كسرى بن هرمز؟ قال : كسرى بن هرمز، ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب ، أو فضة يطلب من يقبله، فلا يجد أحدًا يقبله منه ، وليلقين الله أحدكم يوم يلقاه ، وليس بينه وبينه ترجمان ، يترجم له فليقولن له : ألم أبعث إليك رسولا فيبلغك؟ فيقول: بلى ، فيقول : ألم أعطك مالا وولدا وأفضل عليك؟ فيقول: بلى ، فينظر عن يمينه فلا يرى إلا جهنم، وينظر عن يساره ، فلا يرى إلا جهنم ، قال عدي رضي الله عنه : سمعت

رسول الله ﷺ يقول : اتقوا النار ولو بشق تمرة، فمن لم يجد فبكلمة طيبة .

قال عدي ﷺ : فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله ، وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى ابن هرمز ، ولئن طالت بكم الحياة لترون ما قال النبي أبو القاسم ﷺ يخرج ملء كفه » .

قلت : وهذا الذي أخبر به ﷺ من خروج الرجل ملء كفه من ذهب ، أو فضة ، فلا يجد من يقبله ، ظهر في زمن الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز ﷺ .

وفي صحيح مسلم عن جابر بن سمرة عن نافع بن عتبة ﷺ قال : «كنا مع رسول الله ﷺ في غزوة ، قال: فأتى النبي ﷺ قومٌ من قبل المغرب ، عليهم ثياب الصوف ، فوافقوه عند أكمة ، فإنهم لقيام ، ورسول الله ﷺ قاعد ، قال: فقالت لي نفسي : ائتهم، فقم بينهم وبينه ، لا يغتالونه، قال : ثم قلت : لعله نجي معهم ، فأتيتهم ، فقمت بينهم وبينه ، قال : فحفظت منه أربع كلمات، أعدهن في يدي، قال : تغزون جزيرة العرب، فيفتحها الله ، ثم فارس ، فيفتحها الله ، ثم تغزون الروم، فيفتحها الله ، ثم تغزون الدجال، فيفتحه الله».

وروى البخاري عن عوف بن مالك ﷺ قال : أتيت النبي ﷺ في غزوة تبوك ، وهو في قبة من أدم ، فقال « اعدد ستًّا بين يدي الساعة : موتي، ثم فتح بيت المقدس، ثم مُوتَانٌ يأخذ فيكم كقُعَاصِ الغنم ، ثم استفاضة المال حتى يعطى الرجل مائة دينار ، فيظل ساخطًا ، ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته ، ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر ، فيغدرون ،

فيأتونكم تحت ثمانين غاية ، تحت كل غاية اثنا عشر ألفا».

قلت : ففتح بيت المقدس بعد موته ﷺ في خلافة عمر ابن الخطاب رضي الله عنه، ثم بعد ذلك وقع الطاعون العظيم بالشام «طاعون عمواس» في خلافة عمر أيضًا ، ومات فيه معاذ بن جبل رضي الله عنه ، وأبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه ، وخلق كثير ، وكان ذلك أول طاعون وقع في الإسلام ، فكان مما أخبر به ﷺ، حيث أخذهم طاعون كقعاص الغنم ، ثم استفاض المال في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه ، حتى كان أحدهم يُعطى مائة دينار فيسخطها ، حتى كانت الفرس تشترى بوزنها ، ثم وقعت الفتنة العامة التي لم يسبق من العرب بيت إلا دخلته لما قتل عثمان رضي الله عنه ، واتسعت الفتنة بين المسلمين يوم الجمل وصفين .

وفي الصحيحين ، واللفظ للبخاري ، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا الترك، صغار الأعين ، حمر الوجوه ، ذلف الأنوف ، كأن وجوههم المجان المطرقة ، ولا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوما نعالهم الشعر » .

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: « لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز ، تضيء أعناق الإبل ببصرى » .

وقد ظهرت هذه النار كما أخبر ﷺ سنة أربع وخمسين وستمائة ، ورآها الناس ، ورأوا أعناق الإبل قد أضاءت ببصرى، وكانت تحرق الحجر ، ولا تنضج اللحم ، وقد ذكرها الحافظ ابن كثير رحمه الله في تاريخه في حوادث سنة ٦٥٤.

وفي الصحيحين عن أبي سعيد وأسماء أن رسول الله ﷺ قال لعمار بن ياسر ﷺ : « هلك كسرى ، ثم لا يكون كسرى بعده ، وقيصر ليهلكن ، ثم لا يكون قيصر بعده، ولتقسمن كنوزهما في سبيل الله » .

وفي صحيح مسلم عن جابر بن سمرة ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لتفتحن عصابة من المسلمين ، أو من المؤمنين ، كنز آل كسرى الذي في الأبيض» .

والأبيض قصر كان لكسرى ، وفتح هذا الكنز سعد بن أبي وقاص في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنهما .

وفي صحيح البخاري عن أبي بكرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال عن الحسن ابن ابنته ، وهو يخطب على المنبر : «إن ابني هذا سيد ، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين».

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة ﷺ قال رسول الله ﷺ : « بينا أنا نائم ، رأيتني على قليب ، عليها دلو ، فنزعت منها ما شاء الله ، ثم أخذها ابن أبي قحافة، فنزع بها ذنوبًا أو ذنوبين ، وفي نزعه ضعف ، والله يغفر له ضعفه ، ثم استحالت غربًا ، فأخذها ابن الخطاب ، فلم أر عبقريًا من الناس ينزع نزع عمر ، حتى ضرب الناس بعطن » .

وفي رواية « فاستحالت الدلو غربًا في يد عمر » قال الشافعي : رؤيا الأنبياء وحي .

وقوله : في نزعه ضعف : قصر مدته ، وعجلة موته ، وشغله بالحرب

مع أهل الردة عن الافتتاح ، والمزيد الذي بلغه عمر في طول مدته .

وفي الصحيحين عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه «أن امرأة سألت رسول الله ﷺ شيئًا ، فأمرها أن ترجع إليه، فقالت: يا رسول الله أرأيت إن جئتُ فلم أجدك ؟ قال أبي: كأنها تعني الموت ، قال : فإن لم تجديني فأتي أبا بكر » .

وروى الطيالسي عن أبي ثعلبة الخشني عن أبي عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل رضي الله عنهم عن النبي ﷺ قال: « إن الله عز وجل بدأ هذا الأمر نبوة ورحمة ، وكائنًا خلافة ورحمة ، وكائنا ملكًا عضوضًا ، وكائنا عنوةً وجبريةً وفسادًا في الأرض، يستحلون الفروج والخمور والحرير، وينصرون على ذلك ، ويرزقون أبدًا حتى يلقوا الله عز وجل » .

وروى أبو داود في سننه عن سمرة بن جندب ﷺ : « أن رجلا قال : يا رسول الله إني رأيت كأن دلوا دلى من السماء ، فجاء أبو بكر ، فأخذ بعراقيها ، فشرب شربا ضعيفا ، ثم جاء عمر فأخذ بعراقيها ، فشرب حتى تضلع ، ثم جاء عثمان فأخذ بعراقيها ، فشرب حتى تضلع ، ثم جاء علي فأخذ بعراقيها ، فانتشطت ، وانتضح عليه منها شيء».

وفي صحيح مسلم عن ثوبان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « إن الله زوى لي الأرض ، فرأيت مشارقها ومغاربها ، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها ، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض ، وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة عامة ، وأن لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم ، فيستبيح بيضتهم ، وإن ربي قال : يا محمد إني إذا قضيت قضاء، فإنه لا يرد ،

وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة ، وأن لا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم ، يستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من بأقطارها - أو قال من بين أقطارها - حتى يكون بعضهم يهلك بعضًا ، ويسبي بعضهم بعضا » .

وفي الصحيحين عن سفيان بن أبي زهير ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « تفتح اليمن ، فيأتي قوم يبسون ، فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم ، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون ، وتفتح الشأم ، فيأتي قوم يبسون، فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم ، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون ، وتفتح العراق ، فيأتي قوم يبسون فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم ، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون » .

وفي رواية : « فيخرج من المدينة » .

فأخبر ﷺ بفتح اليمن والشام والعراق قبل أن يكون ، وأخبر أنه يخرج من المدينة أقوام ، يتحملون بأهليهم ومن أطاعهم إلى هذه الأمصار ، ويطلبون الشرف ، وسعة الرزق ، قال : والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون .

وفي صحيح مسلم عن أبي ذر ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال : «إنكم ستفتحون أرضًا يذكر فيها القيراط ، فاستوصوا بأهلها خيرًا ، فإن لهم ذمة ورحمًا ، فإذا رأيتم رجلين يقتتلان في موضع لبنة ، فاخرج منها » ، قال : فمر بربيعة وعبد الرحمن ابني شرحبيل بن حسنة يتنازعان في موضع لبنة ، فخرج منها .

وفي رواية : « إنكم ستفتحون مصر » .

وفي صحيح البخاري عن سليمان بن صرد ﷺ قال : قال النبي ﷺ يوم الأحزاب: «نغزوهم ولا يغزوننا» . وكذلك كان.

وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « إذا فتحت عليكم فارس والروم أي قوم أنتم ؟ قال عبد الرحمن بن عوف : نقول كما أمرنا الله ، قال رسول الله ﷺ : أو غير ذلك ؟ تتنافسون، ثم تتحاسدون، ثم تتدابرون ، ثم تتباغضون أو نحو ذلك ، ثم تنطلقون في مساكين المهاجرين ، فتجعلون بعضهم على رقاب بعض » .

وفي الصحيحين عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال : «بينما رسول الله ﷺ في حائط من حوائط المدينة ، وهو متكئ ، يركز بعود معه بين الماء والطين ، إذا استفتح رجل، فقال : افتح له ، وبشره بالجنة ، قال : فإذا أبو بكر، ففتحت له ، وبشرته بالجنة ، فقال : ثم استفتح رجل آخر ، فقال : افتح ، وبشره بالجنة ، قال: فذهبت ، فإذا هو عمر ، ففتحت له ، وبشرته بالجنة ، ثم استفتح رجل آخر ، فجلس النبي ﷺ ، فقال : افتح له ، وبشره بالجنة على بلوى تكون ، قال : فذهبت ، فإذا هو عثمان بن عفان، ففتحت ، وبشرته بالجنة ، قال: وقلت الذي قال ، فقال: اللهم صبرًا، والله المستعان».

وفي الصحيحين واللفظ للبخاري من حديث حذيفة ﷺ عن النبي ﷺ في الفتن التي تموج موج البحر، وقال لعمر: «إن بينك وبينها بابا مغلقًا ، قال : يفتح الباب أم يكسر؟ قال: لا ، بل يكسر، قال: ذلك أحرى أن لا يغلق... ، فسأله مسروق : مَن الباب ؟ قال : عمر » .

وفي الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ: « ستكون فتن ، القاعد فيها خير من القائم ، والقائم فيها خير من الماشي ، والماشي فيها خير من الساعي، من تشرف لها تستشرفه ، فمن وجد منها ملجأ أو معاذًا ، فليعذ به » .

ورواه أبو بكرة ﷺ ، وقال فيه : « ألا فإذا وقعت ، فمن كان له إبل فليلحق بإبله ، ومن كانت له غنم فليلحق بغنمه ، ومن كانت له أرض فليلحق بأرضه ، قال : فقال رجل : يا رسول الله أرأيت إن لم يكن له إبل ولا غنم ولا أرض ؟ قال : يعمد إلى سيفه ، فيدق على حده بحجر ، ثم لينج إن استطاع النجاة . اللهم هل بلغت ، اللهم هل بلغت ، اللهم هل بلغت. قال : فقال رجل : يا رسول الله أرأيت إن أكرهت حتى ينطلق بي إلى أحد الصفين، أو إحدى الفئتين ، فضربني رجل بسيفه، أو يجيء سهم فيقتلني؟ قال : يبوء بإثمه وإثمك، ويكون من أصحاب النار » رواه مسلم.

وفي الصحيحين من غير وجه ، أنه لما قال له ذو الخويصرة: يا رسول الله اعدل ، فقال : «ويلك ، ومن يعدل إذا لم أعدل ، قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل ، فقال عمر: ائذن لي فيه فأضرب عنقه ، فقال دعه فإن له أصحابًا ، يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم ، وصيامه مع صيامهم ، يقرءون القرآن ، لا يجاوز تراقيهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ... ، آيتهم رجل أسود إحدى عضديه مثل ثدي المرأة ، أو مثل البضعة تدردر ، ويخرجون على حين فُرقة من الناس » .

وفي رواية في الصحيحين : « تمرق مارقة عند فُرْقة من المسلمين ،

يقتلها أولى الطائفتين بالحق» .

وهؤلاء ظهروا بعد موته ببضع وعشرين سنة في أواخر خلافة علي رضي الله عنه ، لما افترق المسلمون ، وكانت الفتنة بين عسكر علي وعسكر معاوية رضي الله عنهما ، وقتلهم علي بن أبي طالب وأصحابه ، وهم أدنى الطائفتين إلى الحق، والطائفة الأخرى قتلوا عمار بن ياسر رضي الله عنه ، وهي الطائفة الباغية، وكان علي رضي الله عنه قد أخبرهم بهذا الحديث ، وبعلاماتهم، وطلبوا هذا المخدج ، فلم يجدوه ، حتى قام علي بنفسه ، ففتش عليه، فوجده مقتولًا ، فسجد ، وشكر الله .

وفي الصحيحين عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : «كان رسول الله ﷺ يدخل على أم حرام بنت ملحان ، فتطعمه، وكانت أم حرام تحت عبادة بن الصامت ، فدخل عليها رسول الله ﷺ ، فأطعمته ، ثم جلست تفلي رأسه ، فنام رسول الله ﷺ ، ثم استيقظ ، وهو يضحك ، قالت : فقلت : وما يضحكك يا رسول الله ؟ قال: ناس من أمتي عرضوا علي غُزاة في سبيل الله، يركبون ثَبَجَ هذا البحر، ملوكًا على الأسرة ، أو مثل الملوك على الأسرة، قالت : فقلت : يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم ، فدعا لها ، ثم وضع رأسه ، ثم استيقظ وهو يضحك، فقلت : ما يضحكك يا رسول الله ؟ فقال: ناس من أمتي عرضوا علي غزاة في سبيل الله، يركبون ثَبَجَ هذا البحر ملوكًا على الأسرة ، أو مثل الملوك على الأسرة ، فقلت: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم، قال : أنت من الأولين.

قال أنس : فركبَتْ البحر في زمان معاوية ، فصُرعت عن دابتها ،

حين خرجت من البحر ، فهلكت » .

وهذا كان في خلافة عثمان ﷺ وكان معاوية ﷺ نائبه.

وكان المسلمون في خلافة عمر ﷺ لم يغزوا في البحر ، وأول ما غزوا البحر في خلافة عثمانﷺ، وفتحوا جزيرة قبرص، وجاءوا بسبيها إلى دمشق.

وثبت في الصحيحين واللفظ لمسلم عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق ، لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك » .

وفي حديث الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال : « في ثقيف كذاب ومبير » .

وظهر الكذاب من ثقيف، وهو المختار بن أبي عبيد الثقفي، الذي أظهر التشيع والانتصار للحسين ، وقتل عبيد الله بن زياد ، وغيره من قتلة الحسين ، ثم أظهر أنه يوحى إليه، وأنه ينزل عليه ، حتى قيل لابن عمر وابن عباس رضي الله عنهما ، قيل لأحدهما : إنه يوحى إليه ، وللآخر : إنه ينزل عليه. فقال أحدهما : ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ﴾ [الأنعام:١٢١] . وقال الآخر : ﴿ هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ۝٢٢١ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ﴾ [الشعراء:٢٢١-٢٢٢] .

وأما المبير : فهو الحجاج بن يوسف الثقفي ، وكان مبيرًا، سفاكًا للدماء بغير حق ، انتصارًا لعبد الملك بن مروان الذي استنابه .

وفي الصحيحين واللفظ لمسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: «لقد قال رسول الله ﷺ يومًا : أيكم يبسط ثوبه فيأخذ من حديثي، ثم يجمعه إلى صدره ، فإنه لم ينس شيئًا سمعه؟ فبسطت بردة علي، حتى فرغ من حديثه ، ثم جمعتها إلى صدري، فما نسيت بعد ذلك اليوم شيئًا حدثني به » .

وفي مسند أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «لا تقوم الساعة حتى يظهر ثلاثون دجالون ، كلهم يزعم أنه رسول الله ، ويفيض المال فيكثر، وتظهر الفتن ، ويكثر الهرج، قال : قيل: وأيها الهرج ؟ قال : القتل ، القتل ثلاثًا ».

وفي الصحيحين عن سهل بن سعد رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر : « لأعطين هذه الراية غدًا رجلًا يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله » . فكان كذلك .

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : شهدنا مع رسول الله ﷺ حنينًا ، فقال لرجل ممن يُدعى بالإسلام: هذا من أهل النار ، فلما حضر القتال ، قاتل الرجل قتالا شديدا ، فأصابته جراحة ، فقيل : يا رسول الله الرجل الذي قلت له آنفًا: إنه من أهل النار ، فإنه قاتل اليوم قتالًا شديدًا ، وقد مات، فقال النبي ﷺ : إلى النار ، فكاد بعض المسلمين أن يرتاب، فبينما هم على ذلك إذ قيل : إنه لم يمت، ولكن به جراحًا شديدًا ، فلما كان من الليل لم يصبر على الجراح، فقتل نفسه ، فأخبر النبي ﷺ بذلك ، فقال : الله أكبر أشهد أني عبد الله ورسوله ، ثم أمر بلالا فنادى في الناس : أنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة ، وإن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر » .

وفي الصحيحين واللفظ للبخاري عن علي ﷺ قال : «بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير ، والمقداد ، قال : انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ ، فإن بها ظعينة ، ومعها كتاب ، فخذوه منها، فانطلقنا تعادي بنا خيلنا حتى انتهينا إلى الروضة ، فإذا نحن بالظعينة ، فقلنا : أخرجي الكتاب . فقالت: ما معي كتاب ، قلنا: لتخرجن الكتاب ، أو لنلقين الثياب ، فأخرجته من عقاصها ، فأتينا به رسول الله ﷺ فإذا فيه : من حاطب بن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين من أهل مكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : يا حاطب ما هذا ؟ قال: يا رسول الله لا تعجل عليّ، إني كنت امرأ ملصقًا في قريش ، ولم أكن من أنفسها، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون أهليهم وأموالهم ، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم ، أن اتخذ يدًا يحمون بها قرابتي ، وما فعلت كفرًا ، ولا ارتدادًا ، ولا رضا بالكفر بعد الإسلام ، فقال رسول الله ﷺ: لقد صدقكم ، فقال عمر: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق . فقال : إنه قد شهد بدرًا ، وما يدريك ، لعل الله أن يكون اطلع على أهل بدر ، فقال : اعملوا ما شئتم ، فقد غفرت لكم » .

فكان في هذا الكتاب إخبار المشركين بأن النبي ﷺ يريد غزوهم ، فأعلمه الله بذلك .

وفي الصحيحين واللفظ لمسلم عن أبي هريرة ﷺ: « أن رسول الله ﷺ نعى للناس النجاشي في اليوم الذي مات فيه ، فخرج بهم إلى المصلى ، وكبر أربع تكبيرات » .

وفي الصحيحين عن أنس بن مالك ﷺ قال : «إن أهل مكة سألوا نبي الله ﷺ أن يريهم آية ، فأراهم انشقاق القمر مرتين» ، وعنه قال : « إن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية ، فانشق القمر مرتين » .

زاد الترمذي: فنزلت ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴾ إلى قوله: ﴿سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴾ [القمر : ١-٢].

وفي الصحيحين عن ابن مسعود ﷺ قال : « انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ شقتين ، فقال النبي ﷺ : اشهدوا » .

وأحاديث الإسراء والمعراج ، وإمامته ﷺ بالأنبياء في بيت المقدس ، وصعوده ﷺ إلى السماوات ، وفرض الرب جل جلاله على نبيه ﷺ الصلوات الخمس حينئذ ، ورؤيته لما رآه من الآيات، والجنة ، والنار ، والملائكة ، والأنبياء في السماوات، والبيت المعمور، وسدرة المنتهى، وغير ذلك معروف متواتر في الأحاديث، وهذا النوع لم يكن لغيره من الأنبياء مثله ، وبه يظهر تحقيق قوله تعالى : ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾ [البقرة : ٢٥٣] .

فالدرجات التي رفعها محمد ﷺ ليلة المعراج ، وسيرفعها في الآخرة ، كالمقام المحمود الذي يغبطه به الأولون والآخرون، الذين ليس لغيره مثلها.

ومن دلائل نبوته ﷺ ما جاء في الصحيحين عن أنس بن مالك ﷺ :

«أن رجلا دخل المسجد يوم جمعة من باب كان نحو دار القضاء، ورسول الله ﷺ قائم يخطب ، فاستقبل رسول الله ﷺ قائما، ثم قال: يا رسول الله هلكت الأموال ، وانقطعت السبل ، فادع الله يغثنا ، قال : فرفع رسول الله ﷺ يديه، ثم قال: اللهم أغثنا ، اللهم أغثنا ، اللهم أغثنا . قال أنس: ولا والله ما نرى في السماء من سحاب ولا قزعة ، وأن السماء لمثل الزجاجة، وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار ، فوالذي نفسي بيده ما وضع يديه حتى ثار السحاب أمثال الجبال ، ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته» .

وفي رواية أخرى : « فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس، فلما توسطت السماء انتشرت ، ثم أمطرت قال : فلا والله ما رأينا الشمس سبتًا ، قال : ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة ، ورسول الله ﷺ قائم يخطب ، فاستقبله قائما ، فقال: يا رسول الله ، هلكت الأموال ، وانقطعت السبل، فادع الله يمسكها عنا ، قال : فرفع رسول الله ﷺ يديه ، ثم قال: اللهم حوالينا ولا علينا، اللهم على الآكام ، والظراب، وبطون الأودية، ومنابت الشجر .

قال : فما يشير بيده إلى ناحية من السحاب إلا انفرجت ، وصارت المدينة مثل الجوبة ، وسال الوادي قناة شهرًا ، ولم يجئ أحد من ناحية إلا حدث بالجود » .

وروى الإمام أحمد في مسنده عن يعلى بن مرة الثقفي رضي الله عنه قال : «ثلاثة أشياء رأيتهن من رسول الله ﷺ: بينما نحن نسير معه إذ مررنا ببعير يسنى

عليه ، فلما رآه البعير جرجر، ووضع جرانه ، فوقف عليه النبي ﷺ فقال : أين صاحب هذا البعير ؟ فجاء ، فقال : بعنيه ، فقال : لا ، بل أهبه لك ، فقال : لا ، بعنيه، قال : لا، بل أهبه لك ، وإنه لأهل بيت ، مالهم معيشة غيره ، فقال: أما إذ ذكرت هذا من أمره ، فإنه شكا كثرة العمل، وقلة العلف ، فأحسنوا إليه » .

وفي رواية : « أنهم كانوا أرادوا نحره » .

قال : ثم سرنا فنزلنا منزلا فنام النبي ﷺ ، فجاءت شجرة تشق الأرض حتى غشيته ، ثم رجعت إلى مكانها ، فلما استيقظ ذكرت له ، فقال: هي شجرة استأذنت ربها عز وجل أن تسلم على رسول الله ﷺ فأذن لها .

قال : ثم سرنا ، فمررنا بماء ، فأتته امرأة بابن لها به جنة ، فأخذ النبي ﷺ بمنخره فقال : اخرج إني محمد رسول الله .

قال : ثم سرنا فلما رجعنا من سفرنا مررنا بذلك الماء، فأتته المرأة بجزور ولبن ، فأمرها أن ترد الجزور ، وأمر أصحابه فشرب من اللبن ، فسألها عن الصبي ، فقالت : والذي بعثك بالحق ما رأينا منه ريبا بعدك » .

وروى الإمام أحمد في مسنده عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: « عدا الذئب على شاة ، فأخذها ، فطلبه الراعي ، فانتزعها منه ، فأقعى الذئب على ذنبه ، قال : ألا تتقي الله تنزع مني رزقا ساقه الله إليّ ؟ فقال : يا عجبا ذئب مقع على ذنبه يكلمني كلام الإنس ؟ فقال الذئب : ألا أخبرك بأعجب من ذلك ؟ محمد ﷺ بيثرب، يخبر الناس بأنباء ما قد سبق ، قال : فأقبل الراعي

يسوق غنمه ، حتى دخل المدينة ، فزواها إلى زاوية من زواياها، ثم أتى رسول الله ﷺ، فأخبره ، فأمر رسول الله ﷺ ، فنودي : الصلاة جامعة ، ثم خرج ، فقال للأعرابي: أخبرهم ، فأخبرهم، فقال رسول الله ﷺ : صدق والذي نفسي بيده، لا تقوم الساعة حتى يكلم السباعُ الإنس، ويكلم الرجلَ عذبةُ سوطه ، وشراكُ نعله ، يخبره فَخِذُه ما أحدث أهله بعده » .

وفي صحيح البخاري عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : «كان المسجد مسقوفًا على جذوع من نخل ، فكان النبي ﷺ إذا خطب يقوم إلى جذع منها، فلما صُنع له المنبر ، وكان عليه،فسمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار، حتى جاء النبي ﷺ فوضع يده عليها ، فسكنت » .

وفي رواية : « فصاحت النخلة صياح الصبي» .

وفي صحيح مسلم من حديث جابر رضي الله عنه قال : «سرنا مع رسول الله ﷺ، حتى نزلنا واديا أفيح ، فذهب رسول الله ﷺ يقضي حاجته ، فاتبعته بإداوة من ماء ، فنظر رسول الله ﷺ فلم ير شيئا يستتر به ، فإذا شجرتان بشاطئ الوادي، فانطلق رسول الله ﷺ إلى إحداهما ، فأخذ بغصن من أغصانها ، فقال : انقادي عليّ بإذن الله ، فانقادت معه كالبعير المخشوش ، الذي يصانع قائده ، حتى أتى الشجرة الأخرى ، فأخذ بغصن من أغصانها، فقال : انقادي عليّ بإذن الله ، فانقادت معه كذلك ، حتى إذا كان بالمنصف مما بينهما ، لأم بينهما ، يعني جمعهما ، فقال : التئما علي بإذن الله، فالتأمتا ، فخرجت أحضر ، مخافة أن يحس رسول الله ﷺ بقربي ، فيبتعد ، فجلست أحدث نفسي ، فحانت مني لفتة، فإذا أنا برسول الله ﷺ مقبلا،

وإذا الشجرتان قد افترقتا ، فقامت كل واحدة منهما على ساق » وذكر الحديث.

وفي صحيح البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: «صعد النبي ﷺ إلى أحد ، ومعه أبو بكر وعمر وعثمان ، فرجف بهم الجبل ، فضربه برجله ، قال : اثبت أحد ، فما عليك إلا نبي، أو صديق، أو شهيدان » .

وفي مسلم عن جابر بن سمرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إني لأعرف حجرًا بمكة ، كان يسلم عليّ قبل أن أبعث ، إني لأعرفه الآن» .

ومن دلائل نبوته ﷺ أن الماء ، والطعام ، والثمار يكثر ببركته فوق العادة ، وهذا باب واسع نذكر منه ما تيسر :

ففي الصحيحين عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : «رأيت رسول الله ﷺ ، وحانت صلاة العصر ، فالتمس الناس الوضوء، فلم يجدوه ، فأتي رسول الله ﷺ بوضوء، فوضع في ذلك الإناء يده، وأمر الناس أن يتوضئوا منه، قال: فرأيت الماء ينبع من تحت أصابعه ، فتوضأ الناس ، حتى توضأ من عند آخرهم» .

وفي الصحيحين عن جابر رضي الله عنه قال : « قد رأيتني مع النبي ﷺ ، وقد حضرت العصر ، وليس معنا ماء ، غير فضلة، فجعل في إناء، فأتي النبي ﷺ به ، فأدخل يده فيه ، وفرج أصابعه، ثم قال: حي على أهل الوضوء ، البركة من الله. فلقد رأيت الماء يتفجر من بين أصابعه ، فتوضأ الناس، وشربوا ، فجعلت لا آلو ما جعلت في بطني منه، فعلمت أنه بركة ، قلت لجابر : كم

كنتم يومئذ ؟ قال : ألفا وأربعمائة » .

وفي الصحيحين عن جابر ﷺ قال: « لما حفر الخندق، رأيت بالنبي ﷺ خمصًا شديدًا، فانكفأت إلى امرأتي، فقلت لها: هل عندك شيء ؟ فإني رأيت برسول الله ﷺ خمصًا شديدًا ، فأخرجت إلي جرابا فيه صاع من شعير ، ولنا بهيمة داجن ، فذبحتها ، وطحنت الشعير، ففرغت إلى فراغي ، وقطعتها في برمتها ، ثم وليت إلى رسول الله ﷺ ، فقالت : لا تفضحني برسول الله ﷺ وبمن معه ، فجئته ، فساررته ، فقلت : يا رسول الله إنا ذبحنا بهيمة لنا ، وطحنا صاعا من شعير عندنا ، فتعال أنت ، ونفر معك ، فصاح النبي ﷺ فقال : يا أهل الخندق إن جابرًا قد صنع سورًا فحيهلا بكم . وقال رسول الله ﷺ : لا تنزلن برمتكم ، ولا تخبزن عجينتكم حتى أجيء ، فجئت ، وجاء رسول الله ﷺ يقدم الناس، حتى جئت امرأتي، فقالت : بك وبك ، فقلت: قد فعلت الذي قلت ، فأخرجت له عجينا، فبصق فيه وبارك ، ثم عمد إلى برمتنا، فبصق وبارك، ثم قال : ادع خابزة ، فلتخبز معك ، واقدحي من برمتكم، ولا تنزلوها، وهم ألف ، فأقسم بالله لقد أكلوا حتى تركوه ، وانحرفوا ، وإن برمتنا لتغط كما هي ، وإن عجيننا ليخبز كما هو» .

وفي الصحيحين واللفظ لمسلم عن أنس بن مالك ﷺ قال: «تزوج رسول الله ﷺ ، فدخل بأهله ، قال : فصنعت أمي أم سليم حيسًا، فجعلته في تور من حجارة، فقالت: يا أنس اذهب بهذا إلى رسول الله ﷺ ، فقل : بعثت بهذا إليك أمي ، وهي تقرئك السلام ، وتقول : إن هذا لك منا قليل يا رسول الله ، قال : فذهبت بها إلى رسول الله ﷺ ، فقلت : إن أمي تقرئك

السلام ، وتقول : إن هذا لك منا قليل ، فقال : ضعه ، ثم قال : اذهب ، فادع لي فلانا وفلانا وفلانا، ومن لقيت، وسمى رجالا ، قال: فدعوت من سمى ، ومن لقيت، قال : الجعد – وهو الراوي عن أنس – عددكم كم كانوا ؟ قال : زهاء ثلاثمائة ، وقال لي رسول الله ﷺ : يا أنس هات التور ، قال: فدخلوا ، حتى امتلأت الصفة والحجرة ، فقال رسول الله ﷺ : ليتحلق عشرة عشرة ، وليأكل كل إنسان مما يليه ، قال : فأكلوا ، حتى شبعوا، قال: فخرجت طائفة ، ودخلت طائفة ، حتى أكلوا كلهم ، فقال: يا أنس ارفع ، قال: فرفعت ، فما أدري حين وضعت كان أكثر ، أم حين رفعت. قال : وجلس طوائف منهم يتحدثون في بيت رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ جالس ، وذكر نزول آية الحجاب » .

وفي صحيح البخاري عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه : «أن أباه استشهد يوم أحد ، وترك عليه دينا ، وترك ست بنات ، فلما حضر جذاذ النخل ، قال : أتيت رسول الله ﷺ ، فقلت: قد علمت أن والدي قد استشهد يوم أحد ، وترك دينًا كثيرًا ، وإني أحب أن يراك الغرماء ، قال : اذهب فبيدر كل تمر على ناحية ، ففعلت ، ثم دعوته ، فلما نظروا إليه ، كأنهم أغروا بي تلك الساعة، فلما رأى ما يصنعون ، أطاف حول أعظمها بيدرًا ثلاث مرات ، ثم جلس عليه ، ثم قال: ادع لي أصحابك . فما زال يكيل لهم ، حتى أدى الله عن والدي أمانته ، وأنا أرضى أن يؤدي الله أمانة والدي ، ولا أرجع إلى أخواتي بتمرة ، فسلم الله البيادر كلها ، وحتى إني أنظر إلى البيدر الذي كان عليه النبي ﷺ ، كأنها لم تنقص تمرة واحدة » .

وإن هذه الأحاديث لتزيد المؤمن إيمانًا وتصديقًا ، واتباعًا وتأسيًا به ﷺ ، وهي داعية لغير المسلم للإيمان بهذا النبي الكريم ﷺ والتصديق برسالته واتباع هديه ، فهي من أوضح الأدلة الحسية والعقلية على صدق نبوته، وعظمة رسالته ، وكريم خلقه ﷺ .

* * *

فصل

في فضل الصلاة على النبي ﷺ

اعلم وفقني الله وإياك لمرضاته أن الصلاة على النبي ﷺ من أجل الطاعات ، وأعظم القربات ، ولقد أمر ربنا تبارك وتعالى بالصلاة والسلام على نبيه ﷺ فقال جل شأنه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٥٦] ، وفي الحديث عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال : « كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ثلثا الليل قام ، فقال: يا أيها الناس، اذكروا الله، اذكروا الله، جاءت الراجفة تتبعها الرادفة، جاء الموت بما فيه، جاء الموت بما فيه، قال أبي: قلت يا رسول الله إني أكثر الصلاة عليك، فكم أجعل لك من صلاتي؟ فقال: ما شئت، قال: قلت: الربع، قال: ما شئت، فإن زدت فهو خير لك، قلت: النصف؟ قال: ما شئت، فإن زدت فهو خير لك، قال: قلت: فالثلثين؟ قال: ما

شئت، فإن زدت فهو خير لك، قلت: أجعل لك صلاتي كلها؟ قال: إذا تكفى همك، ويغفر لك ذنبك» رواه أحمد والترمذي وقال : حديث حسن صحيح .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه سمع النبي ﷺ يقول : « إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا علي، فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا، ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة» رواه مسلم .

وقد شرعت الصلاة على النبي ﷺ في صلاة الفريضة والنافلة ، واختلف العلماء رحمهم الله في صحة الصلاة إذا خلت من الصلاة والسلام على النبي محمد ﷺ .

قال الإمام القرطبي رحمه الله في تفسيره : اختلف العلماء في الصلاة على النبي ﷺ في الصلاة ، فالذي عليه الجم الغفير والجمهور الكثير : أن ذلك من سنن الصلاة ومستحباتها .

قال ابن المنذر : يستحب ألا يصلي أحد صلاة إلا صلى فيها على رسول الله ﷺ ، فإن ترك ذلك تارك ، فصلاته مجزية في مذهب مالك ، وأهل المدينة ، وسفيان الثوري ، وأهل الكوفة من أصحاب الرأي ، وغيرهم ، وهو قول جل أهل العلم .

وحكي عن مالك وسفيان أنها في التشهد الأخير مستحبة ، وأن

تاركها في التشهد مسيء .

وأوجب إسحاق الإعادة مع تعمد تركها دون النسيان. وقال أبو عمر:قال الشافعي: إذا لم يصل على النبي ﷺ في التشهد الأخير بعد التشهد وقبل التسليم أعاد الصلاة . قال : وإن صلى عليه قبل ذلك لم تجزه ، وهذا قول حكاه عنه حرملة ابن يحيى ، وهو من أكابر أصحابه الذين كتبوا كتبه .

وقد تكلم الإمام ابن القيم رحمه الله على هذه المسألة ، وأطال الكلام فيها في كتابه جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام ، وأيد ما ذهب إليه الإمام الشافعي رحمه الله ، ورد على القائلين بأن الشافعي شذ في هذه المسألة ، ورد عليهم من عدة وجوه ، وذكر أن مذهب الإمام أحمد وجوب الصلاة على النبي ﷺ في التشهد الأخير .

قلت : والمشهور من مذهب أحمد أن الصلاة على النبي ﷺ ركن من أركان الصلاة ، لا تصح بدونه ، وأن من تركها سواء كان عمدًا أو سهوًا يلزمه إعادة الصلاة .

ثم إن ابن القيم رحمه الله سرد الأدلة على الوجوب وذكر منها :

الدليل الأول : قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٥٦] .

ووجه الدلالة : أن الله سبحانه أمر المؤمنين بالصلاة والتسليم على رسول الله ﷺ ، وأمره المطلق على الوجوب ما لم يقم دليل على خلافه .

وقد ثبت أن أصحابه رضي الله عنهم سألوه عن كيفية هذه الصلاة

المأمور بها ، فقال : « قولوا اللهم صل على محمد » الحديث .

وقد ثبت أن السلام الذي عُلموه هو السلام عليه في الصلاة وهو سلام التشهد ، فمخرج الأمرين واحد ، والتعليمين والمحلين واحد ، يوضحه أنه علمهم التشهد آمرًا لهم به فيه ، وفيه ذكر التسليم عليه ﷺ ، فسألوه عن الصلاة عليه ، فعلمهم إياها ، ثم شبهها بما علموه من التسليم عليه ، وهذا يدل على أن الصلاة والتسليم المذكورين في الحديث هما الصلاة والتسليم عليه في الصلاة .

ثم أطال رحمه الله مؤيدًا ما ذهب إليه الإمام الشافعي والإمام أحمد في الأخير عنه ، وأجاب عن أدلة المخالفين بما يشفي ويكفي .

مواطن استحباب الصلاة على النبي ﷺ :

ذكر الإمام ابن القيم رحمه الله مواطن الصلاة على النبي ﷺ في قرابة أربعين موطنًا ، منها ما هو واجب ، ومنها ما هو مستحب ، ونريد أن نسوقها هنا على سبيل الاختصار ، وما ذكرناه آنفًا من الصلاة عليه ﷺ في التشهد الأخير من الصلاة ، هو أحد المواطن التي وردت فيها الصلاة على النبي ﷺ .

الموطن الثاني : استحباب الصلاة عليه في التشهد الأول أيضًا ، وهذا مروي عن الإمام الشافعي وبعض العلماء ، والجمهور على خلاف ذلك .

الموطن الثالث : في آخر دعاء القنوت ، كما هو مروي عن معاذ بن جبل ﷺ ، قال به الإمام الشافعي وبعض العلماء .

الموطن الرابع : الصلاة عليه عند الصلاة على الجنازة ، وبعض العلماء يرى أنها من واجبات صلاة الجنازة ، وقد روي عن ابن عباس : أنه صلى على جنازة بمكة ، فكبر ، ثم قرأ ، وجهر بالقراءة ، وصلى على النبي ﷺ ، ثم دعا لصاحبه ، فأحسن الدعاء ، ثم انصرف ، وقال : هكذا ينبغي أن تكون الصلاة على الجنازة .

الموطن الخامس من مواطن الصلاة على النبي ﷺ : الصلاة عليه في خطبة الجمعة ، وهي مؤكدة في هذا الموطن ، وقد قال الشافعي وأحمد رحمهما الله : إنها شرط لصحة الخطبة .

الموطن السادس : الصلاة عليه بعد الأذان ؛ لقوله ﷺ كما جاء في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: « سمعت رسول الله ﷺ يقول : إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ، ثم صلوا عليّ ، فإن من صلى عليّ واحدة صلى الله عليه بها عشرًا » .

الموطن السابع : الصلاة عليه عند الدعاء ، والمستحب أن يأتي بالصلاة عليه أول الدعاء وآخره ؛ لما روي عن أبي سليمان الداراني أنه قال : من أراد أن يسأل الله حاجته فليبدأ بالصلاة على النبي ﷺ ، وليسأل حاجته ، وليختم بالصلاة على النبي ﷺ، فإن الصلاة على النبي مقبولة ، والله أكرم أن يرد ما بينهما .

الموطن الثامن : عند الدخول إلى المسجد وعند الخروج منه ؛ لما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إذا دخل أحدكم المسجد فليسلم على النبي ﷺ وليقل: اللهم افتح لي أبواب رحمتك ، وإذا خرج فليسلم على

النبي ﷺ ، وليقل : اللهم أجرني من الشيطان الرجيم » رواه ابن خزيمة وابن حبان .

الموطن التاسع : عند الصعود على الصفا وعلى المروة ؛ لما روي عن نافع : « أن ابن عمر رضي الله عنهما كان يكبر على الصفا ثلاثًا ، ويقول : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، ثم يصلى على النبي ﷺ ، ثم يدعو ، ويطيل القيام والدعاء ، ثم يفعل على المروة مثل ذلك » .

الموطن العاشر من مواطن الصلاة على النبي ﷺ : عند اجتماع القوم قبل التفرق ؛ لما روى ابن حبان والحاكم وغيرهما أن النبي ﷺ قال : « ما جلس قوم مجلسًا ، ثم تفرقوا ، ولم يذكروا الله ، ولم يصلوا على النبي ﷺ إلا كان عليهم من الله ترة، إن شاء عذبهم ، وإن شاء غفر لهم» ، وقد روي عن عائشة وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما أنهما قالا : « زينوا مجالسكم بالصلاة على النبي ﷺ ».

الموطن الحادي عشر : وذلك عند ذكره ﷺ ، فيرى بعض العلماء أن الصلاة عليه تتعين عند ذكره ﷺ ، وأن هذا من مواطن الوجوب ، والبعض الآخر يرى أنه مستحب ، وكل من الفريقين يستدل بأدلة . فمن أدلة الموجبين حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ صعد المنبر فقال : « آمين آمين آمين ، وكان موضع الشاهد من الحديث هو قوله : إن جبريل قال للنبي ﷺ: من ذكرت عنده فلم يصل عليك ، فمات ، دخل النار ، فأبعده الله ، قل : آمين ، فقلت : آمين » ، والحديث الآخر « رغم أنف رجل ذكرت عنده ،

فلم يصل عليك » . قال ابن القيم رحمه الله : رغم أنفه دعاء عليه وذم له ، وتارك المستحب لا يذم ، ولا يدعى عليه ، فدل على الوجوب ، ثم ذكر رحمه الله جملة من الأدلة تزيد على خمس حجج . وذكر القائلون بعدم الوجوب حججًا أخرى منها : أنها لو كانت واجبة لوجب على المؤذن - عندما يقول : أشهد أن محمدًا رسول الله - الصلاة عليه ، ولم يقل بذلك أحد ، بل ولا يشرع. وساقوا قريبًا من اثني عشر دليلًا .

الموطن الثاني عشر من مواطن الصلاة عليه ﷺ : عند الانتهاء من التلبية في الحج أو العمرة ، قال القاسم بن محمد : كان يستحب للرجل إذا فرغ من التلبية أن يصلي على النبي ﷺ.

الموطن الثالث عشر : عند استلام الحجر الأسود ، وتقدم أيضًا أنه يشرع عند الصعود على الصفا والمروة .

الموطن الرابع عشر : إذا خرج إلى السوق وكان بعض الصحابة يفعل ذلك .

الموطن الخامس عشر : إذا استيقظ من الليل ، كما روى النسائي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه « إن الله يضحك من رجلين ، فذكر منهما الرجل يقوم في جوف الليل ، لا يعلم به أحد ، فيتوضأ ، فيسبغ الوضوء ، ثم يحمد الله ، ويمجده ، ويصلي على النبي ﷺ ، ويستفتح القرآن» .

الموطن السادس عشر : عند ختم القرآن ، كما يستحب الدعاء في هذا الموطن أيضًا .

الموطن السابع عشر : يوم الجمعة ؛ لما روي عنه ﷺ أنه قال : « أكثروا من الصلاة عليّ في كل يوم جمعة ، فإن صلاة أمتي تعرض عليّ في كل يوم جمعة ، فمن كان أكثرهم عليّ صلاة كان أقربهم مني منزلة » ﷺ .

الموطن الثامن عشر من مواطن مشروعية الصلاة عليه ﷺ : عند القيام من المجلس ، وقد كان كثير من السلف يفعل ذلك إذا أراد القيام من مجلسه ، كسفيان وغيره رحمهم الله .

الموطن التاسع عشر : عند المرور على المساجد ورؤيتها ؛ لما روي عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه أنه قال : « إذا مررتم بالمسجد صلوا على النبي ﷺ » .

الموطن العشرون : الصلاة عليه عند الهم والشدائد ، وعند سؤال المغفرة من الله عز وجل ، كما في الحديث الذي رواه الترمذي وحسنه ، في قصة الصحابي الذي قال : كم أجعل لك من صلاتي يا رسول الله ؟ إلى أن قال في آخر الحديث : أجعل لك صلاتي كلها ، فقال رسول الله ﷺ : « إذًا تكفي همك ، ويغفر ذنبك » ، وفي لفظ قال : « إذًا يكفيك الله ما أهمك من أمر دنياك وآخرتك » .

الموطن الحادي والعشرون : عند كتابة اسمه عليه الصلاة والسلام ؛ لما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من صلّى عليّ في كتاب لم تزل الملائكة يستغفرون له ، مادام اسمي في ذلك الكتاب» رواه في أدب الإملاء والاستملاء . وقد كان السلف الصالح من علماء الحديث يفعلون ذلك ، ويرجون بركته وثوابه .

الموضع الثاني والعشرون : عند ابتداء الدرس ، وإلقاء المواعظ والتذكير ، وتعليم العلم ، عند الافتتاح والاختتام .

الموضع الثالث والعشرون : عند أول النهار وآخره ؛ لما روي عن أبي الدرداء ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « من صلى عليّ حين يصبح عشرًا ، وحين يمسي عشرًا ، أدركته شفاعتي يوم القيامة » .

الموضع الرابع والعشرون : عند فعل الكفارة الواجبة لارتكاب مخالفة ؛ لقوله ﷺ : « صلوا عليّ ، فإن الصلاة عليّ كفارة لكم ، فمن صلى عليّ واحدة صلى الله عليه عشرًا » .

الموطن الخامس والعشرون : من مواضع مشروعية الصلاة عليه ﷺ عند الفقر ، أو الحاجة ، أو الخوف منها ؛ لقوله ﷺ : « كثرة الذكر والصلاة عليّ تنفي الفقر » .

الوضع السادس والعشرون : عند الخطبة للنساء ، كما هو مروي عن ابن عباس ﷺ عنهما .

الموضع السابع والعشرون : عند العطاس ، عندما يحمد الله ، يصلي على نبيه . ذكره بعضهم.

الموضع الثامن والعشرون : عند الانتهاء من الوضوء ، بعد ما ينتهي من الدعاء الوارد فيه .

الموضع التاسع والعشرون : عند دخول المنزل .

الموضع الثلاثون: كل اجتماع حصل فيه ذكر الله ودعاؤه.

الموضع الحادي والثلاثون : إذا نسي شيئًا ، وذكر الله ، استحب له الصلاة على النبي ﷺ ، كما هو مروي عن أنس رضي الله عنه.

الموضع الثاني والثلاثون : عند ما يحدث للمرء حاجة ، كما ورد في حديث جابر رضي الله عنه .

الموضع الثالث والثلاثون : عند طنين الأذن كما روي عن بعض الصحابة .

الموضع الرابع والثلاثون: عقيب الصلاة،روي عن بعض التابعين.

الموضع الخامس والثلاثون : عند الذبيحة ، كما روي ذلك عن الشافعي ، ومحلها بعد التسمية .

الموضع السادس والثلاثون : في الصلاة عند القراءة ، إذا مر ذكره ﷺ، وذلك في النفل خاصة ، كما هو مروي عن الحسن والإمام أحمد .

الموضع السابع والثلاثون : الصلاة عليه ﷺ لمن أراد الصدقة ، ولم يجد شيئًا ، كما هو مروي عن أبي سعيد مرفوعًا إلى النبي ﷺ .

الموضع الثامن والثلاثون : عند النوم بعد ما يأتي بالدعاء الوارد ، يختمه بالصلاة على النبي ﷺ .

الموضع التاسع والثلاثون : عند كل كلام خير ذي بال ؛ لما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « كل كلام لا يذكر الله فيه ، فيبدأ به فهو أقطع ، ممحوق البركة » .

الموضع الأربعون : من مواضع مشروعية الصلاة على النبي ﷺ في صلاة العيد بين التكبيرات الزوائد ؛ فإنه يستحب له أن يقول بينهن : الله أكبر كبيرًا ، والحمد لله كثيرًا ، وسبحان الله بكرةً وأصيلًا ، وصلى الله على محمد .

فهذه أربعون موطنًا ذكرتها مختصرة من كتاب الإمام ابن القيم رحمه الله في كتابه جلاء الأفهام .

* * *

فصل

في وجوب العمل بالسنة والتحذير من البدعة

يقول سبحانه وتعالى : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ﴾ [الأنعام: ١٥٣] فهو سبحانه يحث على اتباع سبيله ، الذي هو كتابه وسنة نبيه محمد ﷺ ، فإن اتباع سنن النبي ﷺ من اتباع القرآن ، وطاعة الرسول ﷺ من طاعة الله ، يقول سبحانه وتعالى : ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ ﴾ [النساء:٨٠] ، ويقول عز وجل: ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران:٣١] .

والله سبحانه يأمر باتباع سبيله ، وينهى عن السبل المخالفة لسبيله ؛ لأن اتباع السبل المخالفة هو سبب تفرق الكلمة ، وتشتت الشمل ، ولذا نرى المسلمين المتبعين لسبيل الله، قد لزموا طريقًا واحدًا ، وهو ما أمروا باتباعه، وأما أهل البدع والأهواء ، فقد افترقوا في سبلهم على حسب معتقداتهم الفاسدة، وآرائهم المتعددة، المتنوعة ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ [المؤمنون : ٥٣] .

وقد ورد عن أبي مسعود ﷺ قال : « خط رسول الله ﷺ خطًا ، ثم قال: هذا سبيل الله ، ثم خط خطوطًا عن يمينه، وخطوطًا عن شماله ، وقال: هذه السبل المتفرقة ، وعلى كل سبيل منها شيطان ، يدعو ، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ [الأنعام :١٥٣] .

ولهذا كان العلماء رحمهم الله من زمن الصحابة رضي الله عنهم إلى يومنا هذا ، يحذرون من البدع ، وينكرون ما يستنكرون ، مما لم يعهد في زمنه ﷺ .

ولهذا يروى عن أبي الدرداء ﷺ أنه قال : « لو خرج رسول الله ﷺ عليكم ما عرف شيئًا مما كان عليه أصحابه إلا الصلاة » . قال الأوزاعي رحمه الله : فكيف لو كان اليوم ؟! قال عيسى به يونس : فكيف لو أدرك الأوزاعي هذا الزمان؟!

وعن أنس ﷺ قال : ما أعرف منكم اليوم ما كنت أعهده على عهد رسول الله ﷺ غير قولكم : لا إله إلا الله ، قلنا : يا أبا حمزة الصلاة ، قال :

قد صليتم حين تغرب الشمس ، أفكانت تلك صلاة رسول الله ﷺ ؟! .

إلى غير ذلك من الآثار الدالة على أن البدع تغلب على المشروعات في أكثر الأوقات ، وأن ذلك قد كان قبل زماننا ، ولكن في زماننا قد استفحل أمرها على توال الأيام ، والسعيد من وفق لاتباع السنة وإحيائها ، والدعوة إليها ، والإنكار على من خالفها ، ومخالفة ما اعتاده الناس من البدع ، وإن ادعوا أنها سُنة ، وأن ما هم عليه هو الحق ؛ لأن كل إنسان يأتي ببدعة، لا يعترف أنها بدعة ، بل ربما رأى أنها سنة ، والتمسك بها من الدين؛ لأن الله يقول : ﴿ كُلُّ حِزْبِۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ [المؤمنون :٥٣] ، ويقول سبحانه : ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ [الكهف :١٠٤] .

فعلى المسلم ترك كل ما لم يستند إلى كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ ، وعليه الصبر ، وعدم المبالاة بما يرميه المخالفون للسنة ، من وصفه بالتشدد، والتنطع في الدين ، فإن ذلك شيء معروف وقليل ، مما يقاسيه الآمرون بالمعروف قديمًا وحديثًا ، وعلى قدر الأذية التي تحصل يحصل الثواب ، وتحصل الإمامة في الدين ، كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة: ٢٤]. ولهذا يقول العلماء رحمهم الله : بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين .

فعلى المسلم التمسك بالسنة، ولا يوحشه كثرة المخالفين، ولا قلة الموافقين ، ولكن المهم كل المهم أن يتحقق مما هو عليه، فإذا تحقق أنه على السنة ، ولا يمكنه ذلك إلا بمعرفة سنة رسول الله ﷺ وهديه ، وما عليه هو وأصحابه ، كما قال ﷺ : لما ذكر أن هذه الأمة تفترق إلى ثلاث وسبعين فرقة

كلها في النار ، فقيل يا رسول الله ، من هذه الفرقة ؟ قال : « من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي اليوم » ، فهذا ميزان لمعرفة السنة ، فما كان النبي ﷺ والصحابة يعملونه فاعمله ، وما لم يعملوه فاجتنبه ، حتى تكون حالتك كحالتهم .

وليعلم المسلم أن شريعة الله قد اكتملت وتمت ، يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة:٣] ، فشريعة الله كاملة والحمد لله ، وليست في حاجة إلى زيادة أو نقصان ، ومن زعم أنها تحتاج إلى تكميل فهو مكذب للقرآن ، متنقص للرسول الكريم ﷺ؛ يقول النبي ﷺ : « تركتكم على المحجة البيضاء ، ليلها كنهارها ، لا يزيع عنها إلا هالك » ، وقد قال ﷺ محذرًا من البدع : « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » وكلام العلماء رحمهم الله في هذا الموضوع كثير مشهور .

يقول الإمام مالك رحمه الله : من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة، فقد زعم أن محمدًا خان الرسالة ؛ لأن الله يقول : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ فما لم يكن يومئذ دينًا فلا يكون اليوم دينًا .

وكتب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لعدي بن أرطأة:

أما بعد ، فإني أوصيك بتقوى الله عز وجل ، والاقتصاد في أمره ، واتباع سنة نبيه ﷺ ، وترك ما أحدث المحدثون فيما قد جرت سنته ، وكفوا مؤنته ، فعليك بلزوم السنة ، فإن السنة إنما سنها من قد عرف ما في خلافها من الخطأ ، والزلل ، والحمق ، والتعمق . فارض لنفسك بما رضي به القوم

لأنفسهم ، فإنهم على علم وقفوا ، وببصر نافذ كفوا ، وهم كانوا على كشف الأمور أقوى ، وبفضل ما كانوا فيه أحرى ، فلئن قلتم أمر حدث بعدهم فما أحدثه بعدهم إلا من اتبع غير سنتهم ، ورغب بنفسه عنهم ، إنهم لهم السابقون ، فقد تكلموا فيه بما يكفي ، ووصفوا ما يشفي ، فما دونهم مقصر، وما فوقهم محسر ، لقد قصر عنهم آخرون فغلوا ، وإنهم بين ذلك لعلى هدى مستقيم ، فرحمه الله رحمة واسعة ، وألحقنا بآثارهم .

* * *

فصل

في وجوب محبته ﷺ ونصرته

والتمسك بسنته والتحذير من مخالفته

لقد شرف الله هذه الأمة ببعثة أفضل الخلق وأشرفهم، سيد الأولين والآخرين، وخاتم الأنبياء والمرسلين ، المؤيد بالآيات البينات ، والمعجزات الباهرات محمد بن عبد الله ﷺ.

أوجب الله على عباده محبته، والتمسك بسنته فقال سبحانه: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران:٣١] .

أمرنا ﷺ بالتمسك بسنته ، والسير على هديه ﷺ ، ولزوم ما كان عليه ﷺ وأصحابه .

من تمسك بسنته ﷺ رشد ، ومن سار على طريقه هدى إلى صراط مستقيم .

حذرنا من الابتداع في الدين ، وسلوك سبيل الضالين، فقال ﷺ : «عليكم بسنتي ، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي ، عضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار» رواه أحمد وأبو داود وابن ماجة .

وفي الحديث عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال : «خط لنا رسول الله ﷺ يوما خطا ، ثم قال : هذا سبيل الله ، ثم خط خطوطا عن يمينه وعن شماله ، ثم قال : هذه سبل على كل سبيل منها شيطان ، يدعو إليه ، ثم قرأ : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ [الأنعام : ١٥٣] » رواه أحمد .

أوجب الله علينا الإيمان به واتباعه ، وأخذ ما أتى به ﷺ، وترك ما نهى عنه ، يقول الحق تبارك وتعالى :﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ﴾ [الحشر:٧] ، ويقول النبي ﷺ : «بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ... » الحديث رواه البخاري ومسلم .

وحقيقة شهادة أن محمدًا ﷺ رسول الله هي: طاعته فيما أمر، وتصديقه

فيما أخبر ، واجتناب ما نهى عنه وزجر ، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع .

قال الإمام أحمد رحمه الله : نظرت في المصحف فوجدت طاعة الرسول في ثلاثة وثلاثين موضعًا، ثم جعل يتلو: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور:٦٣] ، وجعل يكررها ، ويقول : وما الفتنة إلا الشرك، لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيزيغ قلبه، فيهلكه، وجعل يتلو هذه الآية: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء:٦٥].

وقال ابن القيم رحمه الله في تفسير هذه الآية :

« أقسم سبحانه بأجل مقسم به وهو نفسه عز وجل على أنه لا يثبت لهم الإيمان ولا يكونون من أهله حتى يحكم لرسوله ﷺ في جميع موارد النزاع ، وفي جميع أبواب الدين ، فإن لفظة (ما) من صيغ العموم ، ولم يقتصر على هذا حتى ضم إليه انشراح صدروهم بحكمه ، بحيث لا يجدون في أنفسهم حرجًا وهو الضيق والحصر من حكمه ، بل يقبلون حكمه بالانشراح ويقابلونه بالقبول لا يأخذونه على إغماض، ويشربونه على قذى، فإن هذا مناف للإيمان ، بل لا بد أن يكون أخذه بقبول ورضى وانشراح صدر.

ومتى أراد العبد شاهدًا ، فلينظر حاله، ويطالع قلبه عند ورود حكمه على خلاف هواه وغرضه ، أو على خلاف ما قلد فيه أسلافه من المسائل الكبار ، وما دونها ﴿ بَلِ ٱلْإِنسَـٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ۝١٤ وَلَوْ أَلْقَىٰ

مَعَاذِيرَهُۥ ﴾[القيامة : ١٤-١٥] .

فسبحان الله كم حزازة في نفوس كثير من النصوص، وبودهم أن لو لم ترد، وكم من حرارة في أكبادهم منها ، وكم من شجى في حلوقهم من موردها ، ثم لم يقتصر سبحانه على ذلك حتى ضم إليه قولـــه : ﴿ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ فذكر الفعل مؤكدًا بالمصدر القائم مقام ذكره مرتين ، وهو الخضوع والانقياد لما حكم به طوعًا ورضى وتسليمًا لا قهرًا أو مصابرة كما يسلم المقهور لمن قهره كرهًا، بل تسليم عبد مطيع لمولاه وسيده الذي هو أحب شيء إليه يعلم أن سعادته وفلاحه في تسليماته » انتهى من الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية.

وقد حذر ربنا جل وعلا من مخالفة هديه ﷺ فقـــال: ﴿ فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[القصص: ٥] .

وروي عنه ﷺ أنه قال : « والله لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به » .

فإذا آمن العبد بربه جل وعلا وأطاعه ، وآمن برسوله ﷺ، وأطاعه ، واتبع سنته ، فهو محب لربه جل وعلا ، محب لرسوله ﷺ حاصل على أعلى الدرجات في الآخرة ، كما قال سبحانه : ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [آل عمران :٣١] ، وكما قال سبحانه ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ

أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِـيقًـا ﴾ [النساء:٦٩] .

ومن مقتضى محبته ﷺ محبة ما يحب من الأقوال والأفعال، وكره ما يكره ﷺ من الأقوال والأفعال ، وفعل ما يفعله ﷺ مما ليس من خصائصه عليه الصلاة والسلام وترك ما تركه ﷺ ونهى عنه ، ولا يحصل للعبد هذا إلا بالتسليم التام لأمر الله وأمر رسوله ﷺ ، وترك الهوى ، والحذر من اتباع الشهوات ، لئلا يكون من أهل الأهواء الذين بدلوا سنته ﷺ وابتدعوا في دينه .

يقول الحق تبارك وتعـــالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ [الأحزاب:٣٦] .

قال ابن القيم رحمه الله : « بحسب متابعة الرسول تكون العزة والكفاية والنصرة ، كما أن بحسب متابعته تكون الهداية والفلاح والنجاة ، فالله سبحانه علق سعادة الدارين بمتابعته،وجعل شقاوة الدارين في مخالفته، فلأتباعه الهدى والأمن ، والفلاح والعزة والكفاية والنصرة ، والولاية والتأييد ، وطيب العيش في الدنيا والآخرة ، ولمخالفيه الذلة والصغار ، والخوف والضلال ، والخذلان والشقاء في الدنيا والآخرة » انتهى من زاد المعاد.

والمحبة الصادقة التامة للنبي ﷺ هي تقديم محبته عليه الصلاة والسلام على النفس والوالد والولد والأهل والناس أجمعين كما قال ﷺ : «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين » متفق عليه .

وفي صحيح البخاري عن عبد الله بن هشام قال : كنا مع النبي ﷺ وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب فقال له عمر : يا رسول الله ، لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي ، فقال النبي ﷺ : لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك ، فقال له عمر: فإنه الآن والله لأنت أحب إلي من نفسي، فقال النبي ﷺ : الآن يا عمر » .

ومن محبته ﷺ الذب عن سنته ، وهديه ، وأهل بيته ، وزوجاته أمهات المؤمنين، وأصحابه من المهاجرين والأنصار، والثناء عليهم ومعرفة فضلهم رضي الله عنهم أجمعين .

ومن محبته ﷺ دعوة الناس إلى ما جاء به وما أمر به ، وحث عليه ، ونشر سيرته عليه الصلاة والسلام ، وبيان هديه وأخلاقه، والتحذير ممن خالف هديه وأمره .

ومن محبته ﷺ كثرة الصلاة والسلام عليه ﷺ ، فهو من أجل الطاعات، وقد أمرنا ربنا جل وعلا بذلك في كتابه فقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ [الأحزاب:٥٦]، وقال النبي ﷺ : « من صلى علي صلاة، صلى الله عليه بها عشرًا » رواه مسلم وغيره.

وليس من من محبته ﷺ الإحداث في دينه أو الزيادة فيه ، كالاحتفال بمولده أو الاحتفال بالإسراء والمعراج ، ونحو ذلك ، مما لم يأمر به ﷺ ولم يفعله ، ولا فعله أحد من أصحابه وتابعيهم بإحسان ، بل هو مما حذر منه ﷺ ، فقال: « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » رواه البخاري

ومسلم ، وقال عليه الصلاة والسلام : « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة » رواه أحمد وغيره .

ومن محبته ﷺ القيام بنصرته ، والذب عنه امتثالًا لأمر المولى جل وعلا ، بقوله : ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ [التوبة : ٤٠] .

وقال جل شأنه : ﴿ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾ [الفتح : ٩] .

من آمن به ونصره واتبع سنته وهديه فهو من المفلحين كما قال سبحانه : ﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف:١٥٧] .

لقد نصر الله نبيه ﷺ وحفظه ، وأرسل ملائكته لنصرته ، واختار صحبته ، يفدونه بأرواحهم وأهليهم .

ولقد توعد الله العاصين لنبيه وسائر أنبيائه المستهزئين بهم بالعقاب الأليم ، والخسران المبين ، والعذاب الشديد ، فقال سبحانه : ﴿ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِىٍّ فِى ٱلْأَوَّلِينَ ۝٦ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِىٍّ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٧ فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [الزخرف:٦-٨] .

وقال سبحانه ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [الأنعام : ١٠].

من استهزأ به خسر ، ومن ابتغى الفلاح في غير هديه ضل، ومن أراد العزة في غير دينه ذل .

كتب الله الخذلان لمن سب نبيه ﷺ ، فقال سبحانه : ﴿ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴾ [الحجر : ٩٥] .

وقال سبحانه: ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴾ [المسد :١-٣] .

وقال جل وعلا : ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴾ [الكوثر:٣].

قال ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية : « أي إن مبغضك يا محمد ومبغض ما جئت به من الهدى والحق والبرهان الساطع والنور المبين هو الأبتر الأقل الأذل المنقطع ذكره » اهـ.

ولئن أمهل الله الظالم قليلًا فإن وعيد الله حاصل وواقع، وقد حكى الله في كتابه قصص الأنبياء وعقابه سبحانه لمن سخروا منهم وآذوهم، وكفروا بما جاء به من الآيات والنذر.

وقد بين بعض أئمة الإسلام أن الناس كانوا يستبشرون في فتوحاتهم بتعجيل الفتح إذا سمعوا الاستهزاء بالنبي ﷺ والإساءة إليه ، لعلمهم وإيمانهم بوعيد الله تعالى في حق المستهزئين برسوله ﷺ مع ما يكدرهم ويسؤهم ، ويملأ قلوبهم من الغضب والغيظ على أعدائهم بما سمعوا

منهم، ومن ذلك ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بقوله :

« حدثنا أعداد من المسلمين العدول أهل الفقه والخبرة عما جربوه مرات متعددة في حصر الحصون والمدائن التي بالسواحل الشامية ، لما حصر المسلمون فيها بني الأصفر في زماننا ، قالوا : كنا نحن نحصر الحصن أو المدينة الشهر أو أكثر من الشهر وهو ممتنع علينا حتى نكاد نيأس إذ تعرض أهله لسب رسول الله ﷺ والوقيعة في عرضه ، فعجلنا فتحه وتيسر ولم يكد يتأخر إلا يومًا أو يومين أو نحو ذلك ، ثم يفتح المكان عنوة ويكون فيهم ملحمة عظيمة ، قالوا : حتى إن كنا لنتباشر بتعجيل الفتح إذا سمعناهم يقعون فيه ، مع امتلاء القلوب غيظًا عليهم بما قالوه فيه .

وهكذا حدثني بعض أصحابنا الثقات أن المسلمين من أهل الغرب حالهم مع النصارى كذلك ، ومن سنة الله أن يعذب أعداءه ، تارة بعذاب من عنده ، وتارة بأيدي عباده المؤمنين» اهـ من الصارم المسلول .

وقال فيه أيضًا :

« ومن سنة الله أن من لم يمكن المؤمنون أن يعذبوه من الذين يؤذون الله ورسوله ؛ فإن الله سبحانه ينتقم منه لرسوله ويكفيه إياه ، كما قال سبحانه ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَـٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴾ [الحجر:٩٤-٩٥]، وقد كتب النبي ﷺ إلى كسرى وقيصر ، وكلاهما لم يسلم لكن قيصر أكرم كتاب النبي ﷺ ، وأكرم رسوله فثبت ملكه ، فيقال : إن الملك باق في ذريته إلى اليوم، وكسرى مزق كتاب رسول الله ﷺ ، واستهزأ برسول الله ﷺ فقتله الله بعد قليل ، ومزق ملكه كل ممزق ،

ولم يبق للأكاسرة ملك ، وهذا والله أعلم تحقيق لقوله تعالى :﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴾ [الكوثر:٣] ، فكل من شنأه وأبغضه وعاداه فإن الله يقطع دابره، ويمحق عينه وأثره ، وقد قيل : إنها نزلت في العاص بن وائل ، أو في عقبة بن أبي معيط ، أو في كعب بن الأشرف ، وقد رأيت صنيع الله بهم.

ومن الكلام السائر (لحوم العلماء مسمومة) فكيف بلحوم الأنبياء عليهم السلام ؟

وفي الصحيح عن النبي ﷺ قال : « يقول الله تعالى : من عادى لي وليًا فقد بارزني بالمحاربة» رواه ابن ماجة ، فكيف بمن عادى الأنبياء؟ ومن حارب الله تعالى حُرِب ، وإذا استقصيت قصص الأنبياء المذكورة في القرآن تجد أممهم إنما أهلكوا حين آذوا الأنبياء ، وقابلوهم بقبيح القول أو العمل ، وهكذا بنو إسرائيل إنما ضربت عليهم الذلة ، وباؤوا بغضب من الله ، ولم يكن لهم نصير لقتلهم الأنبياء بغير حق مضمومًا إلى كفرهم كما ذكر الله ذلك في كتابه ، ولعلك لا تجد أحدًا آذى نبيًا من الأنبياء ثم لم يتب إلا ولا بد أن تصيبه قارعة » اهـ .

من استهزأ به أو شتمه أو تنقصه عليه الصلاة والسلام فهو مستحق للقتل ، مسلمًا كان أو ذميًا ، والمسلم يكفر بمثل هذا ، قال تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝٦٥ لَا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةَۢ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴾ [التوبة : ٦٤-

[٦٦] .

قال القاضي أبو بكر بن العربي رحمه الله : «وتفسير هذه الآية لا يخلو أن يكون ما قالوه من ذلك جدًا أو هزلًا ، وهو كيفما كان كفر ، فإن الهزل بالكفر كفر ، لا خلاف فيه بين الأمة» .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في تفسيرها أيضًا: «تدل على أن الاستهزاء بالله كفر ، وبالرسول كفر من جهة الاستهزاء بالله وحده كفر بالضرورة ، فلم يكن ذكر الآيات والرسول شرطًا ، فعلم أن الاستهزاء بالرسول كفر ، وإلا لم يكن لذكره فائدة ، وكذلك الآيات ، وأيضًا فالاستهزاء بهذه الأمور متلازم » اهـ من مجموع الفتاوى.

وقد حذر أئمة الإسلام من شتم النبي ﷺ أو تنقصه ، وبينوا أنه موجب للقتل ، ومفض للخروج من الإسلام .

قال الإمام أحمد رحمه الله : كل من شتم النبي ﷺ أو تنقصه مسلمًا كان أو كافرًا فعليه القتل ، وأرى أن يقتل ولا يستتاب .

وقال الإمام مالك رحمه الله : من سب رسول الله ﷺ ، أو شتمه ، أو عابه ، أو تنقصه ، قتل ، مسلمًا كان أو كافرًا ، ولا يستتاب .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : « إن الساب إن كان مسلمًا فإنه يكفر ويقتل ، بغير خلاف ، وهو مذهب الأئمة الأربعة وغيرهم ، وممن حكى الإجماع على ذلك إسحاق بن راهويه وغيره

وإن كان ذميًا فإنه يقتل أيضًا في مذهب مالك وأهل المدينة وهو

مذهب أحمد وفقهاء الحديث » اهـ من الصارم المسلول .

فمن سب رسول الله ﷺ فإن إمام المسلمين يقتله ؛ لعظيم جرمه ، وجزاء فعله وكفره ، وليس لآحاد الناس قتل مسلم أو ذمي سب رسول الله ﷺ ، وإنما الذي يقوم بذلك هو إمام المسلمين كما هو مقرر عند أهل العلم عملًا بالأدلة الشرعية ورعاية لمصالح الأمة ، ودرءًا للشرور والمفاسد عنها.

نسأل الله أن يمن علينا جميعًا باتباع هديه ﷺ ، والتأسي به، والتمسك بسنته ﷺ ، والقيام بنصرته ، وتحقيق محبته الكاملة .

هذا ما تيسر بيانه ، وأمكن الوقت في تسطيره وإيراده، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد .

* * *

فهرس الموضوعات